صورة الخيل في شعر أبي دواد الإيادي

دراسة موضوعية فنية

إعداد

أ.د / سوسن محمد عبدالجواد بلتاجي

أستـــاذ الأدب والنقـــد المســاعـــد

الدراسات الإسلامية والعربية للبنات فرع جامعة الأزهر بالأسكندرية

١٤٤٢هـ = ٢٠٢٠م

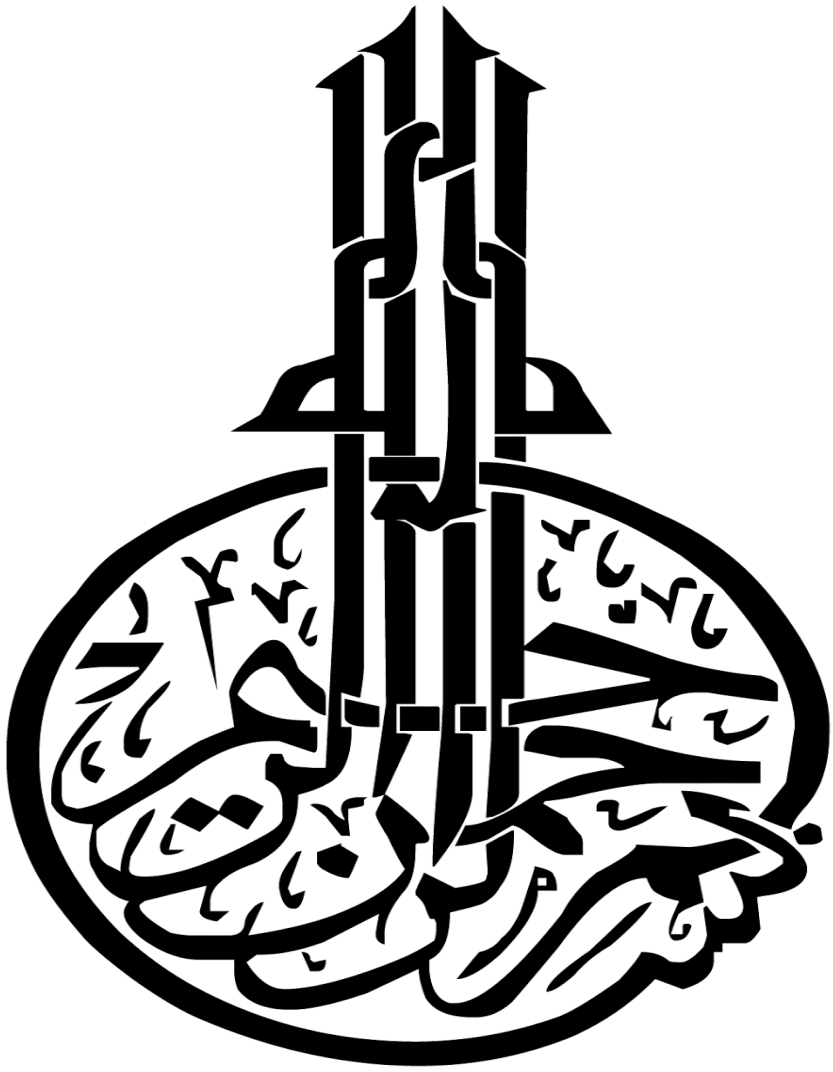

صورة الخيل في شعر أبي دواد الإيادي دراسة موضوعية فنية

د/ سوسن محمد عبدالجواد بلتاجي

قسم الأدب والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالأسكندرية جامعة الأزهر

Sawsan.beltagy@azhar.edu.eg

ملخص البحث :

يتناول البحث صورة الخيل عند أحد شعراء العصر الجاهلي المكثرين من وصف الخيل والمعدودين من وصافه المجيدين إنه: (أبو دواد الإيادي) الذي بلغ شِعْره في وصف الخيل ما يقرب من نصف نتاجه الشِّعْري، وقد دارت الدراسة حول استجلاء شِعْر وصف الخيل عند أبي دواد من جانبين :أولهما: الصورة الموضوعية: وقد أوضحت فيها الموضوعات التي استدعت وجود الفرس عند الشاعر وهي:(الصيد ،والحرب، والفخر) ثانيهما: الصورة الفنية للخيل في شِعْر أبي دواد الإيادي، وقد تنوعت ما بين (التصوير الحقيقي والتصوير البياني) ،وقد اتضح من خلال نماذج الشاعر مدىٰ ارتباطه ــ كغيره من شعراء عصره ــ بالبيئة ومظاهرها، ومن ثم توظيفها في رسم جنبات الصورة، وكذلك بينت الدراسة أن إبداع الشاعر في تصوير خيله، إنما تولدت من الدقة في اختيار اللفظ، وحسن الأداء في رسم الصورة.

ومما لا شك فيه أن العربي الجاهلي قد تعلق بفرسه أكثر من تعلقه بما سواه ، ؛لأنه معين له علىٰ معايشة الواقع الجاهلي المركب من المصاعب والمآسي والتنافس والعناء والقلق ، فهو يرىٰ في فرسه رمز الحياة التي يتشبث بها الجاهلي أملاً في المستقبل

الكلمات المفتاحية: صورة ، الخيل ، شعر ، أبي دواد ، موضوعية ، فنية.

The image of the horse in the poetry of Abu Dawad Al-Ayadi Technical objective study

Sawsan Mohammed Abdul Jawad Beltagy
Department of Literature and Criticism, College of Islamic and Arabic Studies
For girls in Alexandria, Al-Azhar University
Sawsan.beltagy@azhar.edu.eg

Aabstract:

The research deals with the image of horses according to one of the pre-Islamic poets who multiplied from the description of the horse and were counted from his description of the good ones: (Abu Dawad Al-Ayadi) whose poetry in describing the horse reached nearly half of his poetic product. The first is: the objective image: I explained the topics that required the presence of the Persians to the poet, namely: (hunting, war, and pride). The second is: the artistic image of horses in Abu Dawad Al-Ayadi's poetry, and it varied between (real photography and graphic imaging). Through the models of the poet the extent of his association - like other poets of his time - with the environment and its manifestations, and then employing it in drawing the aspects of the image, and the study also showed that the creativity of the poet in portraying his horses was born from the accuracy of the choice of pronunciation and good performance in drawing the image.

There is no doubt that the pre-Islamic Arab has attached himself to his horse more than his attachment to what he does, because he is appointed to him to live with the pre-Islamic reality that is complex of difficulties, tragedies, competition, hardship and anxiety, as he sees in his horse a symbol of life that the pre-Islamic clings to as hope for the future

Key words: image, horse, poetry, Abu Dawad, thematic, artistic.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ خاتم النبيين، سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

وبعد ، فإن العرب منذ الجاهلية كانت أشرف الأمم قدراً ، وأجملهم ذكراً ، وكان للشاعر بينهم مكانة متميزة ؛ لأنه لسان قبيلته يدافع عنها بلسانه إذا كان شاعراً فحسب ، ويدافع باللسان والسنان إذا كان شاعراً فارسًا ، وبذلك يكون الشعر مرآة القبيلة ، ،وهذا الشرف قد حظي به الكثيرون من شعراء العصر الجاهلي.

وقد تميز شعراء هذا العصر بوصفهم الدقيق لكل ما يحيط بهم ، وما حوته الطبيعة من (نبات، وحيوان ، ومظاهر الطقس) وغيرها ، ونظراً لارتباط حياة العربي الجاهلي بالخيل ارتباط وجود وحياة ؛فهو حصنه في الحرب ، ومطيته في السلم والصيد والسباق ، فإن الفرس هو المعادل لوجود العربي الجاهلي، الذي لا يقل أهمية عن العنصر الثاني للحياة وهو الماء .

وعليه فقد تعلق العربي الجاهلي بفرسه أكثر من تعلقه بما سواه ، ؛لأنه معين له علىٰ معايشة الواقع الجاهلي المركب من المصاعب والمآسي والتنافس والعناء والقلق ، فهو يرىٰ في فرسه رمز الحياة التي يتشبث بها الجاهلي أملاً في المستقبل، ورغبة في نصيب أوفر من المناعة والحصانة ، ولا سبيل للعربي أن يحظىٰ بذلك إلا بامتلاكه واحداً من أجود الخيل ، فنراه يتحرىٰ نسبه ، ويتأكد من سلامة عرقه وصفاء حسبه ، وعندها يكون قد امتلك كنزًا ثمينًا ، يلزمه أن يحافظ عليه؛ فهو صنو الكرامة والعزة ، وقد تغنىٰ في وصفه ، وأبدع في رسمه ، وممن اشتهر بذلك

:(أبو دُوَاد الإيادي، وطفيل الغنوي ، وسلامة بن جندل التميمي) [1] وهؤلاء أكثروا من الوصف ، وأجادوا وأبدعوا فأصبحوا مرجعًا لمن أراد وصف الخيل.

سبب اختيار الموضوع:

وقد كان اهتمام الشاعر بفرسه، وإكثاره من وصفه، وخبرته بدقائق رسمه، وبلوغه في ذلك حدًا قلّ نظيره بين الشعراء ؛ دافعًا قويًا لي لمطالعة هذا النموذج الشعري الثري ؛ فهو لا يُجلي الغبار عن نموذج من تراثنا العريق فحسب، بل يقدم تصَوّرًا معرفيًا للعربي القديم ، في بيئته التي لم نرها إلا في شعره، من خلال تقديمه فرسه في الوصف علىٰ غيره من المخلوقات البشرية ، والحيوانية علىٰ حدٍ سواء.

ومن هنا جاءت رغبتي في أن يكون شعر أبي دواد في وصف الخيل محلًا لدراسة موضوعية فنية ، تُجلىٰ أهم ما تميّز به هذا النموذج الشعري من بلاغة، وتصوير ، وبيان ، كما تكشف عن رؤية الشاعر ونظرته للخيل ، ومدىٰ حبه واهتمامه به ؛ وما يصحب ذلك من دلالات بيئية ، وحياتية لم يعرفها إلا الشاعر العربي القديم .

وبالرغم من ذلك ، لم أجد دراسة تناولت هذا الجانب الثري من شعر أبي دواد ، فقد أُهمل في البحث ، فضلًا عن إهمال صاحبه ، **فالدراسات التي دارت عن تلك الشخصية الشاعرة** ـــ فيما توصلتُ ـــ هي :

١ـ تحقيق الديوان لـ أنوار محمود الصالحي ، ود. أحمد هاشم السامرائي .

---

(١) ـ ينظر: تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، شوقي ضيف ، دار المعارف ،ط ٢٠، ١٩٩٧م، ص ٣٦٦ .

٢ـ دراسة بعنوان: " أبو دواد الإيادي دراسة موضوعية فنية ، وقد أشار إليها محقق الديوان ، ولكني لم أعثر عليها .

أما عن الدراسات السابقة التي عنيت بهذا الجانب في الشعر العربي فهي كثيرة ، أذكر منها ــ علىٰ سبيل المثال ــ ما يأتي:

١ـ صورة الخيل في شعر أبي تمّام والمتنبي ، إيمان زهير شريم ، جامعة النجاح الوطنية ، ٢٠١٣م ، (رسالة ماجستير).

٢ـ صورة الخيل في الشعر الأندلسي في عصري الطوائف والمرابطين ، عمر فارس الكفاوين ، جامعة مؤتة ، ٢٠٠٦م ، (رسالة ماجستير) .

٣ـ صورة الخيل في الشعر الجاهلي " ديوان عنترة بن شداد " ، نور الدين عرامي ، جامعة محمد خيضر ، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م ، (رسالة ماجستير) .

وقد واجهت شيئًا من الصعوبة في تناول شعر أبي دواد، متمثلًا في الآتي :

١ ـ إغفال الدراسات الأدبية والنقدية لشعر أبي دواد، رغم ما يحمله من ذخيرة أدبية كبيرة تتمثل في: (لغته ، ومعانيه ، وأساليبه).

٢ــ الحاجة إلىٰ الرجوع إلىٰ معاجم اللغة لفهم مدلول لغة الشاعر الموغلة في القدم ؛ لأتمكن من إدراك الصورة التي أراد التعبير عنها .

ولكنني تسلحت بالصبر ، وبالرغبة في التنقيب في هذا النموذج الشعري الغني بمئات الألفاظ التي لم تسمع إلا من أبي دواد ، وقد آثرت المنهج المتكامل لحاجة البحث إلىٰ العديد من المناهج الفرعية التي تساهم في إخراج البحث علىٰ الشكل المأمول بإذن الله تعالىٰ .

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن تقسم الدراسة علىٰ النحو الآتي :

المبحث الأول : أبو دواد الإيادي (حياته وشعره)

وفيه أوجزت فيه الحديث عن حياة الشاعر، ونسبه ، والتعريف بشعره ، وشاعريته .

المبحث الثاني : الصورة الموضوعية للخيل عند أبي دواد

وفيه تحدثت عن قيمة الخيل ، ودورها في حياة العربي الجاهلي، وموقعها علىٰ خارطة شعر أبي دواد ، والموضوعات التي استدعت وجود الفرس وهىٰ: "الصيد ،و الحرب ، والفخر".

المبحث الثالث : الصورة الفنية للخيل في شعر أبي دواد الإيادي

وفيه قمت باستقراء ديوان أبي دواد ؛لاستخراج النصوص التي دارت حول وصفه للخيل وقد تنوعت الصورة الفنية فيها إلىٰ نوعين هما :(التصوير الحقيقي، و التصوير البياني) الذي تعددت أنماطه لتشمل (التشبيه، والاستعارة ، والكناية)

الخاتمة ، وفيها لخصتُ أهم النتائج التي توصلتْ إليها الدراسة، ثم ذيلتها بفهرس المصادر والمراجع ، ثم فهرس الموضوعات .

وحسبي أني اجتهدتُ وأخلصتُ ، وأسأل المولىٰ الكريم أن أكون قد قدمتُ ولو جزءًا من الوفاء لتراثنا العربي ، وما هو إلا جهد المقل، فما كان من توفيق فمن الله وما كان من زلل فمني ومن الشيطان ، والله منه براء ،وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول : أبو دواد الإيادي " حياته وشعره "

ـ اسمه ونسبه :

أبو دواد الإيادي شاعر جاهلي موغل في القدم، قلَّت الإشارة إلىٰ تفاصيل حياته؛ لقلة المرويات في هذا الجانب ، وهذا ما يفسر اختلاف الرواة في اسمه ونسبه ، حيث اختلفوا في أن يكون اسمه : جارية بن الحجاج [١] أو جويرية بن الحجاج [٢] وقيل غير ذلك[٣].

ولم ينل الاختلاف اسم الشاعر فحسب ، بل أصاب اسم أبيه ، وجده ، وكنيته ، ولكنني أكتفي بذكر ما أجمعت عليه أغلب الروايات ، وعليها يكون اسم الشاعر: جارية بن الحجاج بن بحر بن عصام بن حذافة بن زهر بن إياد بن نزار بن عدنان .

---

(١) ـ الأعلام، خير الدين الزركلي الدمشقي ، دار العلم للملايين ط: ١٥ ٢٠٠٢ م ، ٢/ ١٧٠ . وينظر : سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، ت عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، بدون ١/ ٨٧٩. الشعر والشعراء ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣ هـ ١/ ٢٣١ و خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي، ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ،ط:٤، ١٤١٨ هـ – ١٩٩٧ م،٩/ ٥٩٠.

(٢) ـ الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنىٰ والأنساب،سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا ، دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان ،ط، ١ ،١٤١١هـ–١٩٩٠م، ٣/ ٣٣٦ .

(٣) ـ تصحيفات المحدثين، أبو أحمد الحسن العسكري ،ت: محمود أحمد ميرة ، المطبعة العربية الحديثة ،القاهرة ط، ١، ١٤٠٢ ،٢/ ٨٣٩ .

ـ أما كنيته :

فهي إما (أبو دؤاد) أو (أبو دواد) والاختلاف بينهما لفظي؛ لأن المعنىٰ فيهما واحد، وقد رجح محقق الديوان الثانية(١)؛ معللًا ذلك بأن أقدم من كنّاه بـ (أبي دواد) نخبةٌ من العلماء الأجلاء المشهود لهم بالعلم والثقة والدراية بأنساب العرب وأخبارهم أمثال : ابن الكلبي ، والأصمعي ، وابن السكيت ، وابن حبيب(٢)

ـ قبيلته :

يُنسب أبو دواد إلىٰ إحدىٰ قبائل العرب القديمة المشهورة ، وهي قبيلة إياد وهي بطن من العدنانية .(٣) ولعل البيت الذي يفتخر فيه الشاعر بنسبه يُرجح نسبته إلىٰ بني حذاقة دون غيرها. إذ يقول(٤) :

---

(١)ينظر: مقدمة ديوان أبي دواد الإيادي ، جمع وتحقيق : أنوار محمود الصالحي، أحمد هاشم السامري ، دار العصماء ،ط،١، ١٤٣١ه،٢٠١٠م ،ص ٦،٧.

(٢) ـ ينظر : الأصمعيات ت، أحمد محمد شاكر ، عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ،مصر ،ط، ٧، ١٩٩٣م ، ١/ ١٨٥ .

(٣)ـ معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر بن رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت ،ط، ٧، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .١/ ٥٢ . وأمّا إياد بن نزار وهىٰ القبيلة التي يرجع إليها كلّ إيادي، فمنها فخذان: بنو دعمي ابن إياد، وبنو زهر بن إياد؛ ومن زهر بنو حذاقة بن زهر: عشيرة في إياد، إليها ينسب الحذاقيّون.ينظر : نهاية الأرب في ١ـ فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين النويري ، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ،ط: ١، ١٤٢٣ هـ ،٢/ ٣٢٨ .

(٤) ديوان أبي دواد الإيادي ، جمع وتحقيق : أنوار محمود الصالحي، أحمد هاشم السامري ، ص١١

من رجال من الأقارب فادوا من حذاقٍ هم الرؤوسٌ العظامٌ

وكانت منازل قبيلة إياد كثيرة ، ذكر الشاعر عددًا منها في شعره علىٰ عادة شعراء الجاهلية مما يعكس قوة الارتباط العاطفي بين الشاعر وقبيلته ، ومن ثم كانت تلك الأشعار بمثابة الخرائط التي يستدل بها علىٰ منازل وأماكن القبائل .

وقد دارت بين إياد وقبائل العرب والفرس أيام ، صالوا وجالوا خلالها ، وتغنىٰ أبو دواد بمجدها وبطولاتها ومن ذلك قوله[1]:

ألا أبلغ خزاعة أهل مرٍّ وإخوتهم كنانة عن إيادِ
تركنا دارهم لما ثرونا وكنا أهلها من عهد عادِ
وأسهلنا وسهل الأرض يُخشىٰ بجرد الخيل مشنقة القيادِ
فنازعنا بني الأحرار حتىٰ علفنا الخيل من خضر السوادِ

وقد سجل الشاعر الكثير من المثاليات الخلقية التي تحلت بها قبيلته كالشجاعة ، والمروءة ، والوفاء بالعهد وحماية الجار ومنه قوله :[2]

ترىٰ جارنا آمنا وسطنا يروح بعقد وثيق السببْ
إذا ما عقدنا له ذمةً شددنا العناج وعقد الكربْ

واشتهرت قبيلة إياد بالخطابة ، وضُرب المثل بهم في الإجادة وكان في مقدمتهم" قس بن ساعدة الإيادي" وذكرت بعض الروايات عن عبد الملك بن مروان أنه قال يومًا لجلسائه :هل تعرفون حيًا فيهم أخطب الناس ، وأجود الناس

---

[1] السابق، ١٢ .

، وأنكح الناس ؟ فأطرقوا ، فقال : هم إياد ، لأن قسًا منهم ، وكعب بن مامة منهم ، وأبو دواد الإيادي منهم وابن العز منهم وكل مثل في جنسه [١]

ـ حياته :

لا أكاد أبالغ إذا قلت: إن حياة الشاعر جاءت كلها علىٰ سبيل التقريب ؛ وهذا لكونه شاعر قديم موغل في القدم صرحت بذلك بعض الروايات ،منها رواية صاحب الأغاني في قوله عن أبي دواد: " شاعر قديم من شعراء الجاهلية"[٢] وجاء في العمدة أن إيادًا كان فحلًا قديمًا ، وكان امرؤ القيس يتوكأ عليه ويروي شعره. [٣]

وهذا ما جعل تحديد الكثير من ملامح حياة الشاعر محل اختلاف بين الباحثين ، إذ اعتمدوا في تحديدها علىٰ إشارات شعرية ، وتاريخية استدلوا بها علىٰ تاريخ ولادة ووفاة الشاعر علىٰ وجه التقريب من خلال مقارنتها بتواريخ حكم بعض الملوك الذين حكموا في ذلك الوقت[٤]،وتنقل المصادر أن أبا دواد كان معاصرًا لـ (كعب بن مامة الإيادي)[٥] وذكرت بعض الروايات أنه قيل لأبي

---

[١] المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ، ٨/ ١٦٩ .

[٢] ـ الأغاني ،١٦/ ٥١٨ .

[٣] ـ ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني ،ت: محمد محيي الدين عبد الحميد: دار الجيل ،ط، ٥، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م ، ١/ ١٠٣ .

[٤] ـ مقدمة لديوان أبي دواد الإيادي ، جمع وتحقيق : أنوار محمود الصالحي، أحمد هاشم السامري ، ،ص

[٥] ـ ذكر صاحب خزانة الأدب أنه آثر بنصيبه من الماء لرفيقه النمري فمات عطشاً ، وكان إذا جاوره رجل قام بكل ما يصلحه وعياله ، وحماه ممن يريده بسوء ، وإن هلك له بعيراً

دواد: لم تكلف ابنتك سياسة فرسك؟ فقال: أهنتها بكرامتي كما أكرمتها بإهانتي. (١)

ـ مكانته :

هو "شاعر قديم كان علىٰ خيل المنذر بن النعمان من ملوك الحيرة، أكثر من وصف الخيل في شعره، وأجاد وبرع حتىٰ قال أبو عبيدة: إنه أوصف الناس للفرس في الجاهلية والإسلام... وقدّمه الحطيئة وأبو الأسود الدؤلي علىٰ جميع الشعراء ، ومع ذلك كانت الرواة – علىٰ ما قال الأصمعي : لا تروي شعره ولا شعر عدي بن زيد؛ لمخالفتهما مذهب الشعراء".(٢)

وكان أبو دواد يجمع بين الشعر والفروسية ؛ فحق لقبيلته الفخر به كما فخر هو بها وتغنىٰ بفضلها ومجدها ، ومن تلك المكانة السامية للشاعر بين قبيلته كانت

=وشاه أو عبد ، أخلف عليه فجاوره أبو دواد الإيادي الشاعر فكان يفعل به ذلك ، فصارت العرب إذا حمدت جاراً بحسن جواره ، قالوا كجار أبي دواد ، قال قيس بن زهير:

أطوف ما أطوف ثم آوي إلىٰ جارٍ كجار أبي دواد

ينظر : ربيع الأبرار ونصوص الأخيار: جار الله الزمخشري ، مؤسسة العلمي، بيروت ، ط: ١، ١٤١٢ هـ،١/ ٣٩٣ . و خزانة الأدب ، ٢/ ٤٠٦ ،٩/ ٤٠٠.

(١) ـ البديع في نقد الشعر، أبو المظفر بن منقذ، ت: أحمد أحمد بدوي، حامد عبد المجيد، الجمهورية العربية المتحدة – وزارة الثقافة والإرشاد القومي– الإقليم الجنوبي– الإدارة العامة للثقافة،١/ ٤٦ .ونسبت هذه الرواية لأبي دؤاد بن جرير الإيادي المشهور باللسان والخطابة، وأحد من يجيد قريض الشعر وتحبير الكلام، وله كلمات في بلاغة الخطابة وتوفي في أوائل عهد العباسيين. ينظر : البديع في البديع،أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ، دار الجيل ،ط ،١، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م ،١/ ١٢٧ .

(٢) ـ أشعار الشعراء الستة الجاهليين اختيارات من الشعر الجاهلي ، اختيار أبي الحجاج، يوسف بن سليمان المعروف بالأعلم، دار الكتب العلمية_ بيروت، لبنان، ٢٠٠١م، ٢/ ٣٠.

منزلته بين القبائل ، ففي رواية البغدادي التي أوردها من أن الحارث بن همام أسر أبا دواد وناسًا من قومه ، ثم أطلقهم وأكرم الشاعر وأجاره ، فمدحه أبو داود وأعطاه وحلف أن لا يذهب له شيء إلا أخلفه له. (١)

عُرِف أبو داود بأنه أشهر من وصف الخيل من الشعراء وأجودهم وصفًا ، فلا يأتي ذكر الخيل إلا وذكر معه أبو داود فذاع صيته فيها ، وقد ذكر الجاحظ أن "أبا إياس النصري، وكان أنسب الناس، كان يقول : أشعر العرب أبو دواد الإيادي وعدي بن زيد العبادي " (٢) وقال الأصمعي :" ثلاثة كانوا يصفون الخيل لا يقاربهم أحد طفيل، وأبو دؤاد، والنابغة الجعدي." (٣) وروىٰ عن ابن الأعرابي أنه قال :"لم يصف أحدٌ قط الخيل، إلا احتاج إلىٰ أبي دواد "(٤)

وقال عنه ابن قتيبة : "إنه أحد نُعات الخيل المجيدين " (٥) وقد استحسن ابن طبا طبا العلوي قول أبي دواد : :حلّت عليه إياه الشمس أوراقا" وعدها من الأشعار التي أحكم وصفها واستوفىٰ معناها (٦)

---

(١) ـ خزانه الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، ت: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال- بيروت، دار البحار-بيروت ، الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤ ، ٢ / ٤-٦ .

(٢) ــ البيان والتبيين ، الجاحظ ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ ،١/ ٢٦٣ .

(٣) ــ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،جواد علي ، دار الساقي ،ط، ٤ ،١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م،١٨/ ٣٦٢ .

(٤) ــ الأغاني ، أبو فرج الأصفهاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥ه ،١٦/ ٥٢٠.

(٥)ـ الشعر والشعراء ،ص ١٤٥ .

(٦)ـ عيار الشعر،ابن طباطبا العلوي، ت: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي – القاهرة ،بدون ،ص ٣٥.

ونرىٰ قول الفرزدق حين يفتخر بدرايته للشعر وأخذه عن فحوله يذكر أبا دواد في قوله : (١)

وأخو بنىٰ أسدٍ عبيدٌ إذا أمضىٰ وأبو دؤادٍ قولهُ ينتحلُ

إلا أن الأصمعي حين سئل عن أبي دواد وصفه بقوله :" صالح " ولم يقل: إنه فحل (٢)

ومما سبق وغيره يتضح مكانة أبي دواد في أقوال السابقين إلا أن إغفال المصادر لحياته وشعره ، جعله في طي النسيان من الباحثين والدارسين.

*** *** ***

(١) ـ ديوان الفرزدق ، همام بن غالب بن صعصعة التميمي ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان ،ط١، ١٤٠٧ه،١٩٨٧م،ص٤٩٣.

(٢) ــ فحولة الشعراء، الأصمعي ،ت: المستشرق: ش. تورّي ،قدم لها: الدكتور صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت – لبنان ،ط: الثانية، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م،١/ ١٢.

المبحث الثاني :القيم الموضوعية لصورة الخيل في شعر أبي دواد

١ـ علاقة الشعر الجاهلي بالخيل :

مما لاشك فيه أن العربي في الجاهلية حرص علىٰ تتبع أنساب الخيل والاهتمام بها من أول فرس انتشر في العرب وهو " **زاد الراكب** "[١] وثم نتاجه من بعده حتىٰ أنهم قرنوا اسم الفرس باسم فارسه وقد وضح ذلك الاهتمام ابن الأعرابي في كتابه " أسماء خيل العرب وفرسانها " [٢] وإذا تأكد العربي في الجاهلية من أصالة فرسه وسلامة عرقه ، وجد لزامًا علىٰ نفسه أن يحافظ علىٰ هذا الكنز الثمين ، الذي هو قرين وجوده وصنو عزته وكرامته ؛ لذا لعب الفرس دورًا عظيمًا في حياة العربي الجاهلي فهو أداته التي يدفع بها غوائل الأخطار، فيبذل من أجله كل غال ونفيس، ويقضي الوقت الطويل في إعداده وتجهيزه والاهتمام به حتىٰ قدّمه علىٰ عياله ، بل وعلىٰ نفسه ، ومما يدل علىٰ رفعة مكانة

---

(١) ــ أَكثرُ اللغويين وأَرباب التصانيف فِي الخَيْل أَنّ أَعوجَ إِنّما هُوَ واحدٌ. وَقَالَ جمَاعَة: إِنهما أَعوجانِ، هذا الَّذِي ذَكرهُ ابنُ سَبَلَ، هُوَ أَعْوَجُ الأَصغَرُ. وأَمّا أَعْوَجُ الأَكبرُ فَهُوَ فَرَسٌ آخَرُ يُقَال لَهُ: العجوس وقد ولَد الدينارِ، وولدَت الدِّينَار زَاد الرَّكْب ، فرس سُليمان بن داوودَ عَلَيْهِمَا السّلام، بقيت من الخَيْل الَّتِي خرجَت من الْبَحْر، وَكَانَ أَعطاه قوما وَفَدوا عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُم: تَصَيَّدُوا عَلَيْهِ مَا شِئتم، وَكَانُوا من جُرْهُم، فَكَانَ لا يَفوته شيءٌ فسُمِّيَ زَاد الرَّكْب.

ينظر :تاج العروس من جواهر القاموس، للزَّبيدي،ت: مجموعة من المحققين ،دار الهداية ، د.ت،٦/ ١٢٢، ١٢٣.

(٢)ــ أسماء خيل العرب وفرسانها، أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي ت: حاتم صالح الضّمان، دار البشائر، دمشق – سورية،ط: ٢، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م .

الخيل في نفوس الجاهليين أنهم كانوا لا يسرون بها مهما كانت الظروف ، فقد كانوا يسرون بالإبل في الغالب ، ويؤكد علقمة الفحل ذلك في قوله:(١)

وقد يَسَرْتُ إِذَا ما الْجُوعُ كَلَّفَهُ مُعَقَّبٌ مِنْ قِدَاحِ النبع مفرومُ

لو يَيْسِرُونَ بِخَيْلٍ قد يَسَرْتُ بها وكلُّ ما يَسَرَ الأَقْوَامُ مَغْرُومُ

ومن ذلك قول الأخطل : (٢)

إذا ما الخيل ضيعها أناس ربطناها فشاركت العيالا

نهين لها الطعام إذا شتونا ونكسوها البراقع والجلالا

ولعل هذا الشعور هو قاسم مشترك بين عرب الجاهلية ، فقد عشقوا في الخيل منظرها واستهوتهم محاسنها فلم تفارقهم في سلم ،أو حرب ،أو لهو أو جد ، فهو الحصن الحصين الذي يحتمون به أمام مقارعة الأعداء ، وزحف الجيوش ، حتىٰ أصبح من مظاهر تفاخرهم أنهم " كانوا لا يهنئون إلا بغلامٍ يولد، أو شاعرٍ ينبغ فيهم، أو فرسٍ تُنتج "(٣)

وفي مجتمع يؤمن بقيم الفروسية ، نرىٰ اقتناء الخيل دليلًا علىٰ الثراء والنعمة ، فكانت مطيتهم إلىٰ ساحات الوغىٰ ، وفي أيام السلم تروح عنهم وهي تعدو في

(١) ــ المفضليات، المفضل بن محمد بن يعلىٰ بن سالم الضبي ،ت: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف – القاهرة ، ط، ٦،بدون،١/ ٤٠٣ .

(٢) ــ الخيل في أشعار العرب ،حسن محمد النصيح ، مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، الرياض، طـ١، ١٤١٦هـ ، ص ٢٧.

(٣)ــ العمدة في محاسن الشعر وآدابه،١/ ٦٥ ، و المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، ت: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط:١، ١٤١٨هـ١٩٩٨م ،٢/ ٤٠١.

حلبات السباق ، وكذلك هي مطيتهم إلىٰ مراتع الصيد ، فلا غرابة إذًا أن نجد الشاعر الجاهلي يُغدق علىٰ فرسه من أوصاف الكمال وصفات الجمال ما يعجز عن مُحاكاته الرسام ، فأخذ يتغنىٰ بها في شعره ، ويذكرها في محافله وأنديته ويتباهىٰ في حسن ضيافتها ومعاملتها ،ومن ثم لا يكاد يخلو ديوان شاعر جاهلي منها ، إلا أن بعض الشعراء زادوا وأربوا في وصفها فعرفوا بذلك ،ومن ثم كان الفرس هو رمز الحياة الثاني بعد الماء في حياة الجاهليين وقد ولع شعراء الجاهلية ومنهم أبو دواد بالفرس فجاء ما يقرب من نصف شعره حديثًا عن فرسه فلا نبالغ إذا قلنا: إن أبيات وصف الخيل مئتان وثلاثة وخمسون بيتًا تقريبًا، أي: ما يمثل ٤٩ ٪ من مجموع شعره البالغ خمسمائة وخمسة عشر بيتًا.

وقد جاء حضور الخيل في ديوان أبي دواد مرتبطًا بعدة أمور :

أولًا ـ الحرب : فالخيل هي العدة الأولىٰ للعربي ، وهي الحصن الذي يلوذ به في معاركه ، وقد تراءت لنا تلك الصورة في النص القائل:[1] (**الخفيف**)

أَوْحَشَتْ من سروب قومي تِعار فأروم فشابة فالستارُ
بعد ماكان سرب قومي حينا لهم الخيل كلها والبحارُ

(١) ـ ديوان أبي دواد الإيادي .ص ٩٨، ٩٩ ،١٠٠ .السروب: المال السارح من إبل وخيل وغنم وغيرها ينظر : العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ت: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي،دار ومكتبة الهلال ، بدون ،٧/ ٢٤٩ . تعار : موضع ، ينظر : مقاييس اللغة، أحمد بن فارس ،ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.١/ ٣٤٨ .أروم ، إروم : موضعان متقاربان بنجد ، ينظر : تهذيب اللغة ،للأزهري ،ت:محمد عوض مرعب ،دار إحياء التراث العربي، بيروت ،ط١ ،٢٠٠١، ١٥/ ١٥ .

رُبـــــما الجامِلُ المـــؤبل فيـــهم وعنـــاجيح بينهن المهـارُ
علقـــــتْ هـــامتي بهن فمـا يمـــ ـنع منىٰ الأعنـــــة الإقتـــارُ
جُنَّـــةُ لـىٰ فـــي كل يـوم رهـانٍ جُمعـــــتْ في رهانها الأجـشـــارُ
وانجـــــرادىٰ بهن نحـــو عـدوي وارتحـــالي البـــلاد والتسيـارُ
تلْكـــــــمُ لذتي إلىٰ يوم مـــــوتي إن موتًا وإن عَمّـرتُ قُصـــــــارُ

وفي النص تصريح من أبي دواد بمدىٰ حبه وتعلقه بفرسه وهو أمر نادر في شعره باستثناء هذه الرائية .

ويأتي وصف الفرس مع الحرب في مقطوعة أشار فيها أبو دواد إلىٰ فرسه علىٰ عُجالة ، وقد اختار لها إيقاع الكامل المرفل ؛ ليتسع لهذا الوصف المكثف ، فاستهل المقطوعة بحديث محبوبته بأسلوبٍ التحضيض (هلا) ، وهو يدل علىٰ الانفعال والثقة بالنفس ، ويتقدم الجار والمجرور (بمشهدي) علىٰ المفعول به (يـــوما) ، لأن أحداث اليوم هي جُل اهتمام الشاعر ومحور فخره ، واستعمل (اليـــــوم) هنا عن طريق المجاز المرسل لعلاقة الزمانية، و أراد الفرسان الذين حضروا اليوم ، وقد كانت دلائله واضحة فقد أصاب القوم فيه الرعب ، وارتعدت أكتافهم واهتزت ، كناية عمّا أصابهم من الخوف ، فأطلق الجزء وأراد الكل .ومما زاد من هول الحرب أن طرفاها أبطال تنازلا بالسيوف والرماح، وقد شارك الفرس النشيط في هذا النزال فدوره لا يقل عن دور فارسه، الذي طعن عدوه، وتركه ملقىٰ علىٰ الأرض طعامًا للضباع .

قال أبو دواد :[1] (من الكامل المرفل)

هلا سـألت بمشهـدي بـومًا يتع بذي القريصْ
وتشـاجرت أبطـاله بالمشـرفي وبالخريصْ
أَوْجَـرَتْ عُمْـراً فاعلموا خُرصـًا يرز له وبيصْ
فتركتـه متجدلاً تنتابه عُـرْجُ القفُـوصْ

ونتوقف عند نصٍ آخر وصف فيه أبو دواد فرسه وصفًا حسيًا كنوع من البرهان علىٰ تحصنه بفرسه من غوائل الحرب قال : [2] (الخفيف)

كل طرفٍ موثقٍ عتريسٍ مستطيل الأقراب والبلعومُ
قربًا مربط العرادة إن الحرب فيها تلاتل وهمومُ
كتفاها كما يُشعبُ قينٌ قتبا في أحنائه تشميمُ

فهذا هو فرس أبي دواد المهيأ دائمًا لأي غرضٍ يُراد منه، فهو غليظ الصوت سريع الجري شاركه القتال حتىٰ تسربل بالدم ،فكأنه :

١ــ رجل نُزعت ثيابه وأُدميت يداه .

٢ــ أو أنه راعٍ نام عن حماية غنمه فعاث فيها الذئب قتلًا ، وقد دهش الراعي وقام مذعورًا في دجىٰ الليل فتلطخ بدم غنمه .قال أبو دواد :[3] (البسيط)

---

(١) ـ ديوان أبي دواد الإيادي ، ص/ ١٢٢.

(٢) ـ المصدر السابق، ص .

(٣) ـ ديوان أبي دواد الإيادي ، ص ٣٥ ،٣٦،ضابع : يمد أعضاءه حين يجري ، ينظر : القاموس المحيط ، الفيروزبادي ،ت : مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط٨ ، ١٤٢٦/ ٢٠٠٥ ،١/ ٧٤٠ .،خاظ :مكتنز ،ينظر: العين ،٤/ ٢٩٧ ، اليعبوب : الشديد الجري ، ينظر:كتاب تهذيب اللغة ١/ ٨٦ ،مسلوب :نزع ثيابه ، ينظر: كتاب لسان العرب لابن منظور ، دار صادر ، بيروت،ط٣، ١٤١٤ ،١/ ٤٧١ .هيبان : جبان ، ينظر : لسان العرب ،٨/ ٣٨٩ ،مذؤوب :وقع الذئب في غنمه ، ينظر :

وضابعٍ إن جرىٰ أيـًا أردت به ... لا الشدُّ شدٌ ولا التقريب تقريبُ

بين النعام وبين الخيـــل خلقته ... خاظٍ طريقته أجش يعيـــوبُ

ظللت أخضبه كأنـــه رجـــل ... دامي اليدين علىٰ علياء مسلوبُ

أوهيِّبانٌ نجيبٌ نام عن غنـــم ... مستوهل في سواد الليل مـذؤوبُ

ثانيًا ـ الصيد : وصف الصيد من الموضوعات التي كثرت في أدبنا العربي ،في الوقت الذي لا نجد لها نظيراً في الآداب الأخرىٰ ، وهو موضوع يحمل في طياته أوصافـًا عدة متداخلة ، تجمع بين أوصاف الطبيعة وأعمال الفروسية ، فعرفت الأمم كلها الصيد في بداوتها وحضارتها ، يدعوهم إليه ضرورات العيش وحاجاته ، كذلك اللهو والمتاع وقد عنىٰ شعراء الجاهلية بوصف الصيد وأدواته، وحيوانه وحركاته ، والأغلب في الشعر الجاهلي عدم استقلال وصف الصيد بالقصائد كالطرديات التي عرفت في العصور الإسلامية ، فماذا عن أبي دواد وصيده ؟

جاء موقف الصيد عند أبي دواد ليكون الأكثر وروداً في حديثه عن الخيل، أذكر بعضـًا منها، يقـــول أبـــو دواد : [1] (الوافر)

إذا أكـــدىٰ قليب صرن منه ... إلىٰ جمَّـــاتِ أحواض ملاءِ

بللتُ بمشرف الحجبات نهدٍ ... أقب يصيدنا قبل العنـــاءِ

طويلُ غيرُ مرمق ولكـــنْ ... ممو مثل إمرار الرشـــاءِ

الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ،ت: أحمد عبد الغفور عطا ، دار العلم للملايين ، بيروت،ط٤، ١٤٠٧ ،١٩٨٧ ،١/ ١٢٥.

(١) ـ ديوان أبي دواد الإيادي ، ص٣٠/ ٣١.أكدىٰ : شح ماؤه ، ينظر :العين ،٧/ ٢٩٠ .القليب: البئر ، ينظر : مختار الصّحاح للرازي ،المكتبة العصرية ، الدار النموذجية ، بيروت ، صيدا ،ط٥، ١٤٢٠/ ١٩٩٩، ١ / ٢٥٨ .

وهنا يُظهر الشاعرُ فرسه بالمنقذ لهم من الهلاك ، فإذا نزلت بهم نازلة أو أصابهم القحط فهم لا يبالون ؛لأنهم ينتقلون إلىٰ مكانٍ آخرٍ خصب، كثير الماء بفرسٍ خاصٍ طويل مستوي الظهر ، يصيد لهم قبل أن يحل بهم التعب، وبهذا يصبح الفرس رمزًا للوجود والحياة والنجاة

ويمثل الفرسُ أقوىٰ مصدر استقىٰ منه أبو دواد إبداعه ،فهو يحمل مكانة خاصة لا يمكن غضّ الطرف عنها في عمله الإبداعي ، وقد ظهر عنده بصورة المثال علىٰ نحو ما اعتاد الجاهليون في تصوير بيئتهم ، فالشاعر يُبكر إلىٰ صيده بفرس ذىٰ نشاط سريع حاز في شكله ما يفوق منظومة الجمال التي اعتاد العربي التمسك بها ، قال :[1] (الهزج)

وقد أغدو بطرف هيكـــــ ـــلٍ ذىٰ ميعة سكبِ
أسيلٍ سلجمٍ المقبـــــــ ـــلِ لاشختٍ ولا جأبِ
طويل طامح الطـــــرف إلىٰ مفزعـــــة الكلبِ
مسحٍّ لايـــــوارىٰ العيرُ منه عصـــــر اللهبِ

ويفصح أبو دواد عن قيمة الفرس في حياته كفرد من أفراد المجتمع الجاهلي الذي يرىٰ أن الفرس كله خير في كل حال ؛ فهو زينة للبيت حال وجوده دون عمل، وكذلك هو كفيل بسد حاجات القوم إذا اشتهوا اللحم ، ولم لا؟ وله من الأوصاف

(١) ــ ديوان أبي دواد الإيادي ، ص ٤٥ ،٤٦ .الميعة : النشاط والسرعة ، ينظر: الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية ،٣/ ١٢٨٧ ، السكب : كثير العدو ، ينظر :تهذيب اللغة ،١٠/ ٥٠ .الأسيل: الخد السهل اللين الدقيق المستوي ، ينظر : تهذيب اللغة ١٣/ ٥٢.

ما يؤهله ويعينه علىٰ ذلك فهو حاد النظر ، قوي المنكب والعرقوب ، صافي اللون كلون الفضة ، ثم هو بعد ذلك سريع يجتاز الفيافي بسرعة خاطفة وقد أثار غبارً ديوان أبي دواد الإيادي ا ملأ الأفق من وقع سيره علىٰ الأرض ،نرىٰ ذلك في قـــــــوله[1] (الهزج)

يزين البيت مربوطـــــــا ويشفىٰ قـــــرم الركبِ

حديد الطـــرف والمنكـــ ـــــب والعرقوب والقلبِ

وخرقٍ سبسبٍ يجـــــرىٰ عليه مـــــــورُهُ سهـــبِ

وتتعدد المقطوعات والقصائد التي وصف بها أبو دواد فرسه ، وأرىٰ أنها ترتكز في المقام الأول علىٰ وصف فرسه قوةً ، وسرعةً ، وجمالًا ، دون أن يصور لنا فعل الصيد ، وعلىٰ اختلاف بين المؤرخين في تقدم أبي دواد أو تأخره عن امرئ القيس ، إلا أنني وجدت بينهما قاسمًا مشتركًا يتمثل في الوصف الخارجي والظاهري للفرس ؛لأنهما ينطلقان في وصفهما من واقع اجتماعي وبيئي يجمعهما وغيرهما من الشعراء ،ويأتي التفاوت بينهما في طريقة التعبير ،أو التركيز علىٰ تصوير مشهد الفريسة ، أو الجانب المعنوي للفرس ،وهذان الأمران قليلان عند أبي دواد ،وعليه فإن الأبيات التي يتحدث فيها عن الصيد تطول في بعض القصائد إلىٰ ثمانية عشر بيتًا، نراها تتعاضد في رسم لوحة فوتغرافية لهذا الفرس وكأنه التقطها بكاميرا عينيه ، وتجدر الإشارة أيضًا إلىٰ أن أبا دواد رغم أنه كرّر وصف الفرس حسيًا، إلا أنه نوع في تشبيهاته ، فلم تأت علىٰ وتيرةٍ واحدةٍ ، أو هيئة واحدة

(١) ــ المصدر السابق ، ص ٥١ .

؛فقد اعتمد علىٰ نقل " الحسي الموجود في الفرس بحسي آخر بيئي يتعاظم فيه وجه الشبه " ؛ للمبالغة حينًا ، أو تقريب الصورة حينًا آخر ،وهذا ما نطقت به الأبيات التي طالت في وصف الفرس في موقف الصيد ، وبدأها بقوله :[1] (المتقارب)

رفيعُ المعدِّ كسيد الغضا تميمُ الضلوع بجوف رحبْ
ضروحُ الحماتين سبط الذراع إذا ما انتحاه خبار وثبْ
وهاد تقـــدم لا عيـــب فيه كالجذع شُذب عنه الكربْ
إذا قِيد قحّم من قـــاده وولتْ علابيُّهُ واجلـــعبْ
كهزِّ الردينيّ بين الأكف جرىٰ في الأنابيب ثم اضطربْ

ويتابع الوصف حتىٰ نراه في البيت الثامن عشر يشير إلىٰ لحاق الفرس بصيده قائلا:[2] (المتقارب)

فألحقه وهو ساطٍ بها كما تلحق القوسُ سهم الغربْ

ولا شك أن قوة الفرس تعكس قوة فارسه ، وهذا ما يفسر إقبال الشعراء علىٰ وصف خيلهم كما قال عبد الله الطيب : " إن الفروسية العربية مرتبطة كل الارتباط بالشعر فأقبلوا علىٰ تجاربهم فيها يتغنون بها ، ويبثون نبأها بين مجتمعهم ويعظمون من شأنها ، ولقد ارتاحوا إلىٰ الفروسية دهرًا طويلًا "[3]

(١) ــ ديوان أبي دواد الإيادي ، ص ٥٩.
(٢) ـ المصدر السابق ، ص٦٠ .
(٣) ــ الخيل في أشعار العرب ، حسن محمد النصيح ، ص١٨ .

ولعل هذا ما يفسر تغني أبي دواد بفرسٍ قوي شديد الخلق أضمره البقل ، حتىٰ يقوىٰ علىٰ متابعة أربعة من الصيد دفعةً واحدة ، فلا يرده عن هدفه شيء ، ولا يثنيه صعب ، فله من البنيان ما يجعله لا يحذر الرمال التي تبتلع الأقدام ، ولا يخشىٰ حرارتها التي ألهبتها أشعة الشمس ، يقـــول :[1] (الخفيف)

فلقد أغتدي يُـــــدافع رأيي صنتعُ الخلق أيِّدُ القصـراتِ

مثل عير الفلاة صعلكة البقـ ـل مشيح بأربعٍ عســراتِ

لا توقىٰ الدهاسَ من حدم اليو م ولا المنتضي من الخبــراتِ

ويتكرر مشهد الصيد ويصف أبو دواد فرسه بالقوة والسرعة تصريحًا حين ذكر ضخامة يديه (عبل اليدين)، وسرعة القوائم (قبيص)، ثم أكد المعنىٰ تلميحًا حين جعل الفرس يصطاد بقرة أشبه ما تكون بالجبل الضخم وقد أخافها الفرس الذي كنّىٰ عنه الشاعر (بمدلاج الهجير)أي شديد التعرق ، يقـــــول: [2] (الطويل)

وقد أغتدىٰ والطير في وكناتها بمنجرد عبل اليدين قبيضِ

وســـنٍ كسُنَيقٍ سناءٌ وسنَّما زعرتُ بمدلاج الهجيرِ نَهوضِ

وتناص أبي دواد مع امرئ القيس ، وتأثره به واضح في الأبيات علىٰ رأىٰ من قال بتقدم امرئ القيس عليه .

(١) ـ ديوان أبي دواد الإيادي، ص ٦٢ ،٦٣ .

(٢)ـ المصدر السابق، ص١٢٣ .

ثالثًا ـ الفخر:

وثمة تلازم قوي بين(الفخر ، والفرس) عند أبي دواد ، فلا أجد له فخرًا في ديوانه إلا والفرس له دور فيه ،فيفخر بامتلاك فرسه ، أو صيده بمثل فرسه ، أو الاستعداد لمصائب الدهر بفرسه ، أو قيامه علىٰ حماية قومه وسد ثغر الموت عنهم ، بمشاركة فرسه تلك المهمة ، ولم لا ؟ وهو فرس اجتمعت له أوصاف الجمال ، بل حاز قوة البنيان التي عبّر عنها الشاعر في قـــــوله :[1](**البسيط**)

وكل مَنْ خال أن الموت مخطئه معللٌ بسواء الحق مكذوبُ

وقد أراني أمام الحي مكتلئا ثغرا به من دواعي الموت تثويبُ

أرعىٰ أجمته وحدي ويؤنسني نهدُ المراكل صلتُ الخد منسوبُ

ماء جواد عتيق غير مؤتشب تضمنته له كبـــداءُ سرحوبُ

يعلو بفارسه منه إلىٰ سنـــدٍ عالٍ وفيه إذا ما جد تصـــــويبُ

ويطالعنا أبو دواد بفرسٍ أسطوري لا تكاد تراه إلا في قصص المغامرات بحيث لم يترك جميلًا إلا وسمه به ، ولا عيبًا إلا نفاه عنه ، فهو فرس عريق الأصل، كريم النسب ، طويل العنق ، مستقيم الظهر ، حاد النظر أضمره عدوُهُ خلف الصيد في وقت الصباح، وهنا يأتي عنصر الزمن موثقًا مشهد الصيد الذي اعتاد الشاعر الخروج إليه ، وبقايا الليل تدبر و هي تلملم أذيالها :[2] (المتقارب)

وقد أغتدي في بياض الصباح وأعجاز ليلٍ مولىٰ الذنبْ

(١) ـ السابق ، ص ٣٤ .

(٢) ـــ ديوان أبي دواد الإيادي، ص٥٨.

بطـــــــــرف ينازعني مرسنـــــا سلوف المقادة محض النسبْ
طواه القبيـــــص وتعـــــداؤه وإرشاش عطفيه حتىٰ شسبْ
بعيد مدىٰ الطرف خاظىٰ البضيع ممر القوىٰ مسمهر العصبْ

ويختلف أبو دواد عن كثيرٍ من شعراء الجاهلية في تخليه عن أحد أنظمتها التي سارت تقليدًا فنيًا لا يخرج عنه الشاعر إلا نادرًا ، ألا وهو التقديم للغرض الأصلي ، فتنفرد الأغراض عنده بقصائد طوال ،أو مقطوعات ، و تخلو من التقديم لها علىٰ غير عادة الجاهليين ، إلا أن تتداخل المعاني وتجاورها أمرٌ جلي في نصوصه ، فالفخر يستدل عليه بقوة فرسه وشجاعة فارسه في صيده ، و قد تسلح لريب الزمان بفرس يفتخر به ؛فهو محكم الخلق ، واسع الجبين والصدر ، يصاحبه في الصيد فيظل يسير حتىٰ المساء دون تعب أو عناء، يقـــــــول :[1] (الرمل)

أربَ الدهرُ فأعددتُ له مشرف الحارك محبوك الكتدْ
جرشعًا أعظمهُ جُفرته ناتئ البـــركة في غير بددْ
فغدونا نبتغىٰ الصيد به فإذا نحن بميـــــاسٍ وحدْ

ويمتزج وصف الصيد بالفخر علىٰ عادة أبي دواد في قوله:[2] (المتقارب)

فبتنا عراة لدىٰ مهرنا ننزع من شفتيه الصفارا
وبتنا نغرثه باللجام نريد به قنصا أو غوارا

(١) ــ المصدر السابق، ص ٩١.
(٢) ــ السابق، ص ١١٠ ،١١١، ١١٢ .

فلما أضاءت لنا سدفة ولاح من الصبح خيط أنارا
غدونا به كسوار الهلو ك مضطمرا حالباه اضطمارا
مروحا يجاذبنا في القياد تخال من القود فيه اقورارا
فلما علا متنتيه الغلام وسكن من آله أن يطارا
وسرح كالأجدل الفارسي في إثر سرب أجد النفارا
فصاد لنا أكحل المقلتين فحلا وأخرىٰ مهاة نوارا
وعادىٰ ثلاثا فخر السنان إما نصولا وإما انكسارا
أكلَّ امرئٍ تحسبين امرأ ونارٍ توقد بالليل نارا

فالشاعر يفخر بفرسه وبقيامه برعايته ، فقد بات ليلته يُخلصه من شوك اللسان ، وقد أجاعه لغرض الصيد أو الإغارة ، فلما تراءىٰ لهم خيط أبيض يؤذن بطلوع الفجر انطلق وهو في قمة نشاطه ومرحه يجاذب الفارس القياد ، وقد أصاب ظهره انحدار وضمور ، فهو كالصقر الذي طار للحاق بفريسته ، ومن ثم استطاع الفرس أن يوقع بصيده (الفحل و المهاة)وقد ساعده في انجاز مهمته شجاعة الفارس وقوته فقد أخذ يوالي بين الصيد رميًا وجريًا ، وعندئذٍ حُق له أن يفتخر بتلك الفروسية أمام محبوبته ،فالرجل ليس من كان علىٰ هيئة الرجال ، بل من حاز المكارم والأخلاق كما أن كل نارٍ ليست حريقًا بل كثيرًا ما تكون لقري الضيوف.

*** *** ***

خصائص الخيل الخارجية والمعنوية :

وثمة منظومة من الأوصاف المتعارف عليها للخيل العربي ،جعلته من أجمل خيول العالم ، وهي صفات لا توجد باطراد في كل الجياد العربية ، بل تختلف باختلاف المناطق التي نشأت فيها ، وللعرب روايات كثيرة في صفات الجيد من الخيل ، من ذلك ما روىٰ أن الحجاج سأل أحد الأعراب الخبير بالحصان العربي عن صفته فأجابه : القصير الثلاث ، الطويل الثلاث ، الرحب الثلاث ، الصافي الثلاث وفُسرت كالآتي :

- _ الثلاث القصار هي : (الصلب ، العسيب ، القضيب)
- _الثلاث الطوال هي: (الأذن ، العنق ، الذراع)
- _الثلاث الرحبة هي : (الجبهة ، المنخر ، الورك)
- _الثلاث الصافية هي: (الأديم ، العين ، الحافر)

ولاشك أن أبا دواد كان علىٰ دراية بتلك المنظومة الجمالية ، بحيث لا يشذ عن الذوق العام ، ولا يتعدىٰ القانون السائد في وصف الفرس ، فجملة ما ذكره عن وصف فرسه يمثل نظرة العربي للفرس في بيئتي نجد والحجاز .

والخيول النجدية : تعد أعرق السلال ، وهي طويلة العنق ، صغيرة الرأس ، جميلة القوائم ، قليلة لحم الوجه والخدين ، دقيقة الآذان ، عريضة الأكفال، رحيبة البطون ، غليظة الأفخاذ ، ، سريعة ، تلوح علىٰ وجهها علامات الجد .

أما الخيول الحجازية : فهي صلبة الحوافر ، متينة الأرساغ ، ذات أحداق حسناء سوداء . وكلا الوصفين حاضران بكل وضوح في نموذج أبي دواد ، فاهتمامه بالوصف الحسي والمظهر الخارجي للفرس واضحٌ بصورة تختفي

معها الجوانب المعنوية ، بحيث تبدو علىٰ استحياء في إشارات خاطفة ، ويختلف أبو دواد في هذا الجانب مع ما نقرؤه من وصف عنترة لفرسه ، حين نراه يصف في فرسه الظاهر والباطن ، وهو يتفق مع أبي دواد في الوصف الخارجي ،فهم أبناء بيئةٍ واحدة ، وذوقٍ واحد ، ومن ثم يكمن جوهر الاختلاف في الجزء المعنوي الواضح عند عنترة ،والمهمل من أبي دواد ، وكل نص ذُكر يوضح هذا الأمر في موضعه ، فأكتفي بذكر نموذج واحدٍ هنا وهو قـــــول الشاعـــــر :[1]

(الهزج)

لـــه بـــين حواميـــه نسـورٌ كنـوىٰ القسْـبِ
معـالي شـنيج الأنسـا ء سنام جرشعُ الجنبِ
طـوىٰ بـين الشراسـي ف إلىٰ المنقب فالقلبِ
يبـوض الملجـم القائـد ذي جـدّ وذي شـعبِ
عتيـد الشـدّ والتقـري ب والإحضار والعقبِ
رحيب الجوف والشدق ين والمنخر كـالوربِ
صـليتُ الأذن والكـا هل والموقف والعجبِ
يـزين الـدار مربوطًـا ويشـفي قـرم الركـبِ

أسماء الخيل :

وباستقراء وصف أبي دواد لفرسه يمكن أن نتعرف أسماء الخيل التي دارت في بيئة الشاعر ومجتمعه في الفترة الزمنية التي تضرب بجذورها إلىٰ القدم ، فأمة العرب أمة ارتبطت بالخيل إيمانًا منها بفضلها وعرفانًا بدورها ، فتغنوا بها شعرًا

(١)- ديوان أبي دواد ، ص٥٤، ٥٥ .

خلَّد أسماءها، فهي رفيق الدرب للعربي في حياته علىٰ اختلاف أحوالها (حربًا ، وسلمًا ، وصيدًا ، ولهوًا) كما هو معلن في بيت أبي دواد القائل :[1] (مجزوء الكامل المذيل)

حتُّ الجراءِ معاودٌ سبقَ الحلائبِ و القنيصْ

والأسماء التي دارت في معجم أبي دواد يمكن حصرها علىٰ النحو الآتي :

١ــ بنات الأعوج [2] في قول الشاعر:[3] (الوافر)

طلبتُ بناتِ أعوج حيث صارت كرهتُ تناتُج القِرْقِ البطاءِ

فالشاعر : لا يرضىٰ عن " الأعوج " بديلًا ؛ فهو يكره من الخيل ما كان ردئ الأصل بطيئًا .

٢ــ الجواد ، أو العتيق ، قال أبو دواد :[4] (البسيط)

ماء جواد عتيق غير مؤتشبٍ تضمنته له كبداءُ سرحوبُ

---

(١) ـ ديوان أبي دواد ، ص١٢٢ . حتٌّ : فرس حتٌّ، أي: سريع: مجمل اللغة لابن فارس ،ت: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط،٢ – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦م،١/ ٢٢٠ .

(٢) ـ الأعوجية : هي الخيل المنسوبة إلىٰ فحل يقال له (أعوج) ينظر: تهذيب اللغة ، ٣/ ٣٢. وذكر ابن الكلبي سبب تسميته بالأعوج ، وهو: أنه قد شُد بحبل في صغره فارتكض فأصبح في صلبه بعض العوج ، ومنه أنجبت خيول العرب ، وعامة جيادها تنسب إليه ، ينظر: أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها، ابن الكلبي،ت: حاتم صالح الضامن ، دار البشائر، دمشق – سورية، ط: ١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م،١ / ٢٩ .

(٣)ـ المصدر السابق ، ص ٣١ .

(٤) ـ السابق ، ص ٣٤ . مؤتشب : مختلط في نسبه ، ينظر : الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية ،١/ ٨٨ .السرحوب : الطويلة علىٰ الأرض، ينظر: العين ،٣/ ٣٣٢.

قال : (جواد عتيق) واللفظان يطلقان علىٰ الفرس إذا كان كريم الأصل ، رائع الخلق ، وقد أكد الشاعر المعنيين في قوله: (غير مؤتشب) تأكيدًا علىٰ سلامة نسبه من الاختلاط، وأكدّ جمالها بقوله : (كبداء سرحوب) ؛ليحصل من مجموع البيت هذا الفرس الكريم .

٣ـ الجشة :

اعتادت العرب أن تطلق علىٰ أصوات الخيل عددًا من الأسماء مستمدة من طبيعة الصوت ، فيحمل الاسم وصفًا للفرس (قوةً ، وشدةً ، ونشاطًا ، ومرحًا ، وحنقًا، وغضبًا) بحيث تؤدي إلىٰ تمثيل الصوت في الاسم ، وقد ورد ذلك عند أبي دواد في قــوله: [1] (البسيط)

بين النعـــــام وبين الخيل خلقتهُ خاظٍ طـــــريقتُهُ أجشٌّ يعبوبُ.

فهو يصف شكل وهيئة فرسه بأنه في موضع وسط بين النعام والخيل ، إلا أنه ممتلئ العجز ، سريع الجري ، وقد سمّاه (**أجش**)موافقة لصوته الغليظ ، فالشجة صوت غليظ كصوت الرعد

٤ـ المحجل :

جاء في قــول الشاعر: [2] (مجزوء الكامل)

ومحجل خضبت قوائمه وتراً وليس لشفعها خضبُ

٥ـ الأرثم : جاء في قــول الشاعر :[3] (مجزوء الكامل)

ونأت من الشمراخ رُثمتهُ قدر الرواجب بينها رتْبُ

(١) ـ نفسه ، ص٣٥.

(٢) ـ ديوان أبي دواد ، ص٣٨ .

(٣) ـ المصدر السابق ، ص٣٨.

٦- **الطرف ، الهيكل** وقد زاوج بينهما في بيته القائل : [١] (**الهزج**)

وقد أغدو بِطِرْفٍ هيكـــــ ـــلٍ ذئ ميعةٍ سكْبِ

وأراد بالجمع بينهما أن يتحقق لفرسه كرم الأصل من (طرف) و جمال الخلق من (الهيكل).

٧ـ **الســـــهب** [٢] في قول الشاعر :[٣] (الهزج)

وخرقٍ سبسبٍ يجـــــــرئ عليه مورُهُ سَهْـــــــبِ

يصف قوة فرسه وسرعة عدوه ، بإثارة الغبار في الأرض المستوية .

٨ـ **الأحوى :** في قول الشاعر: [٤] (الهزج)

وأحوئ سلسُ المرســـ ـــنِ مثل الصـــــدع الشَّعْبِ

والأحوئ من مراتب الأدهم ، إلا أن حمرة الأنف تميزه عن غيره من (الدهمة) فالشاعر يمتدح فرسه بكونه حسن اللون ، سهل القيادة مطواع له .

٩ـ **العنجوج** [٥] في قول الشاعر:[٦] (الهزج)

طـــويل العنق عنجوج

أشـــــق أصمعُ الكَعْبِ

---

(١) ـ السابق، ص ٤٥ .

(٢) ـ الســـــهب : الفرس الواسع الجري الشديد . ينظر :الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية ١/ ١٥٠ .

(٣) ـ ديوان أبي دواد، ص ٥١ .

(٤) ـ المصدر السابق ، ص٥٣.

(٥) ـ العنجوج : الرائع من الخيل ينظر: تهذيب اللغة ،١/ ٢٤٣ .

(٦) ـ ديوان أبي دواد ، ص٥٣.

و**للخيل عند العرب عدة أسماء أُطلقت عليها حسب أنواع مشيتها وعدوها وجريها ، أذكر منها ما جاء عند أبي دواد وهى** : "التقريب ، الإحضار ، العقب [1] في قـول الشاعر: [2] (الهزج)

عنيد الشدو والتقريـــــ ـب والإحضار والعَقْبِ

١ــ الإضريج[3] وقد جاء في قـــول الشاعر:[4] (الخفيف)

ولقد أغتدي يُدافع ركنىٰ أَجْوَلي ذو ميعة إضريجُ

٢ــ المطرح، الجموح، الخروج ، الشرجب [5] .

ولما كانت أسماء الخيل تمثل جانبًا مهمًا في هيئة الفرس أو تركيبه أو صفته ، نرىٰ الشاعر يجمع العديد من تلك الأسماء بشكل متتابع ؛ وما ذلك إلا لأنه أراد إثبات مدلول تلك الأسماء لفرسه ، ونعته بما تحمله من دلالات ، وهو ما يعكس إعجاب أبي دواد بفرسه إلىٰ الحد الذي جعله يقـــــول عنه: [6] (الخفيف)

---

(١) ـ التقريب : ضرب من العَدْو ، وهو أن يدفع يديه معًا ويضعهما معًا وهو دون الإحضار ، ينظر: الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ١/ ١٩٩ .

ـ ترتيب عدو الخيل : أوله الخب ، ثم التقريب ، ثم الاحجاج ، ثم الإحضار ، ثم الإرخاء ، ثم الأهداب ، ثم الاهماج، ينظر : نهاية الأرب في فنون الأدب ، شهاب الدين النويرىٰ ، (د.ط) نسخه مصورة عن طبعة دار الكتب (د.ت) ٩/ ٣٧٥ .

(٢) ـ ديوان أبي دواد ، ص ٥٤ .

(٣) ــ الإضريج : الفرس الكثير العرق الشديد الجري ، ينظر : لسان العرب ،٢/ ٣١٤ .

(٤)ـ ديوان أبي دواد، ص ٦٦.

(٥) ــ الشرحب : الفرس الكريم الجواد : وقيل طويل القوائم ينظر :العين ،٦/ ١٦٦ .

(٦) ــ ديوان أبي دواد، ص ٦٧.

مِخْلَطٌ مِزْيلٌ معـــــنٌّ مفرٌّ مطرحٌ مصرحٌ جموحٌ خروجُ

سلهبٌ شرجبٌ كأن رماحًا حملته وفي الســـــراة دُمُوجُ

٣ــ نجل الغمامة ، والصريح ، وثادق ، وبنات قيد :جاءت مجتمعة في قـــول أبي دواد :[1] (الكامل)

نجل الغمامة والصريح وثادق وبنات قيدٍ نجل كل جوادِ

٤ــ هرواة الأعزاب [2] في قـــوله: [3] (مجزوء الكامل)

وطمرةٍ كهراوة الـــــ أعـــزاب ليس لها عدائدُ

٥ـ نهد: في قـــوله : [4] (الخفيف)

ولقد أغتدىٰ يدافع ركنىٰ مثل شاة الإران نهدٌ مُطارُ

٦ـ الجرشع: في قـــوله :[5] (الخفيف)

جرشعُ الخلق بادنٌ فإذا ما أخذته الجلال والمضمارُ

(١) ـ ديوان أبي دواد ، ص ٨٣ .

(٢)ـ هرواة الأعزاب : اسم فرس لبنىٰ عبد القيس . ينظر :لسان العرب ،١٥/ ٣٦١ .

(٣) ـ ديوان أبي دواد ، ص ٨٨.

(٤) ـ المصدر السابق، ص ١٠٠ .

(٥) ـ السابق، ص ١٠٢ ، الجرشع : العظيم الجبين . ينظر: جمهرة اللغة ، أبو زيد القرشي ،ت: علي محمد البجادي ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، بدون، ١/ ٥٦٧. المضمار : اسم للموضع الذي تضمر فيه الخيل ، ينظر: تهذيب اللغة ،١٢/ ٢٨ .

٧ـ البلق [١] الورد [٢]

يجتمع اللفظان فيعطىٰ كل واحد منهما اسمًا لنوعٍ من الخيل، يتميز عن غيره بلونه ، فالفرس يكون بلقًا، و ووِرْدًا ، كما قـال أبو دواد : [٣] (الكامل المرفل)

بمجوفٍ بلقـًا وأعلىٰ لونهِ وردٌ مُصَامصْ

*** *** ***

(١) ـ البلق : في الفرس وغيره سواد وبياض ، وهو كلُّ لون خالَطَهُ بياضٌ فَهُوَ أَبْلَقُ، والمجوف هو الذي بلغ البلق بطنه وهو التجويف ، وقيل إذا أبيض بطنه وباطن فخذية وذراعية . ينظر : المخصص لابن سيده ،ت خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،ط: ١، ١٤١٧هـ١٩٩٦م ،٢/ ٩٢ .

و ينظر :أساس البلاغة، للزمخشري ،ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان

ط: ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م ،١/ ١٥٧ .

(٢) ـ الورد : من الخيل بَيْنَ الكُمَيْتِ والأَشْقَرِ، سُمِّيَ بِهِ لِلَوْنِهِ، ينظر: تاج العروس، ٩ / ٢٨٦ ، وَفِي الْمُحكم: الوَرْدُ: لَوْنٌ أَحْمَرُ يَضْرِب إِلىٰ صُفْرَةٍ حَسَنَةٍ فِي كُلِّ شيْءٍ، فَرَسٌ وَرْدٌ، والجَمْعُ: وُرْدٌ، ووِرَادٌ، والأُنْثَىٰ وَرْدَةٌ ، ينظر: المحكم والمحيط الأعظم ،ابن سيده المرسي، ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط: ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ،٩/ ٤٢٤ .

(٣) ـ ديوان أبي دواد ، ص ١٢٠ .

المبحث الثالث: الصورة الفنية للخيل في شعر أبي دواد

إن تعامل النقاد مع الصورة الفنية باعتبارها نوعًا من الأنواع البلاغية التي هي بمثابة انتقال ، أو تجوّز في الدلالة لعلاقة مشابهة ، أو لعلاقة تناسب متعددة الأركان البلاغية ، ولم ينظر إليها كثير من النقاد علىٰ أنها مجرد زخرفة ، أو طلاء للفكرة المراد التعبير عنها ، بل احسوا أنها تشع فوق تلك الفكرة معاني ودلالات فنية خاصة ، يتذوقها المتلقي في بنائها اللغوي الخاص ، الذي ينتقي الشاعر فيه ألفاظه بحسه المرهف ، وبوحي من تجاربه الخاصة .(١)

تنقسم الصورة حسب قالبها الفني الذي صيغت فيه بحسب اعتماد الشاعر علىٰ الواقع أو الخيال إلىٰ قسمين : فهي إما حقيقية وصفية : وهي التي يعتمد الشاعر فيها علىٰ دلالة الألفاظ المباشرة دون الحاجة إلىٰ الخيال ، وإما خيالية: يعتمد فيها علىٰ ضروب البيان من تشبيه وكناية ومجاز. (٢) فبأي النوعين وصف أبو دواد فرسه ، وأي النمطين استثمره في شعره ؟

بالنظر في النموذج الشعري عند أبي دواد في وصف الفرس يتبين وجود الصورتين وحضور النمطين (الحقيقي ، والخيالي) في وصف الفرس وإن تفاوت حضورهما واختلفت نسبة وجود أحدهما عن الآخر، ويمكن توضيح الصورتين بتحليل بعض النماذج علىٰ النحو الآتي:

---

(١) ـ ينظر : المعنىٰ الشعري في التراث النقدي ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ط ٢ ، ١٩٩٨م ، ص ١١٦ .

(٢) ـ ينظر : الصورة الفنية في المفضليات . زيد محمد الجهنىٰ ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، المدينة المنورة ، ط ١، ١٤٢٥ هـ ، ١/ ٦٦.

أولًا ـ الصورة الحقيقية :

و تتراءىٰ لنا الصورة الحقيقية بنسبة كبيرة بما يتلاءم مع طبيعة العربي القديم الذي يؤثر الوضوح في كل أموره ، ومن الصور التي اعتمدت علىٰ اختيار اللفظ الذي يحمل الوصف دون تدخل لضروب البيان فيه، قـــــول الشاعر: [1] (الوافر)

بللت بمشرف الحجبات نهدٍ أقبَّ يصيدنا قبل العناءِ

فدلالة الألفاظ واضحة علىٰ أن هذا الفرس يجمع بين امتلاء مقدمة الصدر وضمور الخصر وهما من الأوصاف التي يعتد بها في الخيل العربي والإضمار [2]

(١)ـ ديوان أبي دواد ، ص٣٠ ، بللت : علقت بالشيء وظرفت به ، ينظر تهذيب اللغة ،١٥/ ٢٤٤ . الحجبات : رأس الورك ، ينظر : لسان العرب ، ١١/ ٤٦ . أقب : ضامر، ينظر تهذيب اللغة ، ٥/ ٩٠ .

(٢)ـ التضمير : ضَمَّرْتُ الخيلَ: عَلفْتها القُوتَ بَعْدَ السِّمَنِ. والمِضْمارُ: الْمَوْضِعُ الَّذِي تُضَمَّرُ فِيهِ الخيلُ، وتَضْميرُها: أَن تُعْلَف قُوتًا بَعْدَ سِمَنها. قَالَ أَبو مَنْصُورٍ: وَيَكُونُ المِضْمارُ وَقْتًا للأَيام الَّتِي تُضَمَّر فِيهَا الخيلُ للسِّباقِ أَو للرَّكضِ إِلىٰ العَدُوِّ، وتَضْميرُها أَن تُشَدّ عَلَيْهَا سُروجُها وتُجَلَّل بالأَجِلَّة حتَّىٰ تَعْرق تَحْتَهَا، فَيَذْهَبَ رَهَلُها وَيَشْتَدَّ لَحْمُهَا ويُحْمل عَلَيْهَا غِلمانٌ خِفافٌ يُجْرُونها وَلَا يَعْنُفونَ بِهَا، فإِذا فُعل ذَلِكَ بِهَا أُمِنَ عَلَيْهَا البُهْرُ الشَّدِيدُ عِنْدَ حُضْرها وَلَمْ يَقْطَعْهَا الشَّدُّ؛ قَالَ: فَذَلِكَ التَّضْميرُ الَّذِي شاهدتُ الْعَرَبَ تَفْعله، يُسمّون ذَلِكَ مِضْمارًا وتَضْمِيرًا

ينظر: لسان العرب،٤/ ٤٩١ . وجاء في سيرة النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه كان يأمر بإضمار خيله بالحشيش اليابس ، ينظر إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، المقريزي ت: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط: ١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م،٧/ ٢٠١ ،و سبل الهدىٰ والرشاد، في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي ،تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ،ط، ١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م. ١١/ ٤١٩ .

من الأوصاف التي ركّز عليها أبو دواد ،وكثر تكرارها في أغلب قصائده علىٰ اختلاف في استعمال اللفظ ، وهي صفة تعكس سرعة الفرس وتمكنه من الظفر بهدفه دون عناء .

ومن الصور الحقيقة عند الشاعر قـــــوله : [1] (البسيط)

أرعىٰ أجمته وحدىٰ ويؤنسني نهد المراكل صلتُ الخد منسوبُ

ماء جوادٍ عتيقٍ غير مؤتشبٍ تضمنته له كبـــــداء سرحوبُ

فالبيتان يرسمان صورة حسية ملموسة لفرس الشاعر، وقد اتخذ طريقة استعمال اللفظ الحقيقي في الدلالة علىٰ المعنىٰ ؛ فالفرس الذي أمامنا بارز الجوانب ، واسع الخد ، طويل القوائم .

ويستطرد أبو دواد في رسم فرسه من المنظور السائد في أوصاف عتاق الخيل، فنراه ينفي عن فرسه كل عيب أو نقص مما قد يصيب بني جنسه ، فعظام يديه ورجليه خلت من أي فساد ، وقد جرت عادة العرب علىٰ وصف الخيل بسلامة شظيها، كما في قـــول امرئ القيس :[2]

لَمْ أَشْهَدِ الخَيْلَ المُغِيرَةَ بالضُّحىٰ عَلَىٰ هَيْكَلٍ عبلِ الجُزَارَةِ جَوَّالِ

سَلِيمِ الشَّظَىٰ، عَبْلِ الشَّوىٰ، شَنِجِ النَّسا، لَهُ حَجباتٌ مُشْرِفاتٌ عَلَىٰ الفالي

---

(١)ـ ديوان أبي دواد ، ص٣٤ . المراكل :حيث يركل الفارس فرسه في جنبيه ، ينظر : تهذيب اللغة ١٠/ ١٠٧ .

(٢) ـ ديوان امرئ القيس، امرؤ القيس بن حجر الكندي ،اعتنىٰ به: عبد الرحمن المصطاوي ،دار المعرفة ، بيروت، ط٢، ١٤٢٥ه، ٢٠٠٤م ،ص١٣٨.

ثم هو سليم الجلد لم يصب بوخز ولا ثقب ، أما جسده فهو بين القليل والكثير بين (النعام والخيل) ممتلئ الصدر ، غليظ الصوت ، طويل ، سريع العدو ، في رجليه انحناء يحميه من العثرات ويساعده في سرعة الجري ، وهو مما يُستحب في الخيل ، وقد أبدع الشاعر حين جعل الفرس يثني يديه عمدًا منه للتخلص من العرق الناضح علىٰ جلده ، فأثبت له صفة العقل ضمنًا وقد جاءت تلك الصورة في قول الشاعر : [1] (البسيط)

وفي اليدين إذا ما الماء أسهله ثنيٌ قليلٌ وفي الرجلين تجنيبُ

لا في شظاه ولا أرساغه عتبٌ ولا مشكٌ صفاق البطن منقوبُ

بين النعام وبين الخيل خلقته خـــــاظٍ طريقته أجشُّ يعبوبُ

وأنسنة الفرس وإثبات بعض صفات البشر له ، أمرٌ جلي في تصوير أبي دواد، ومنها علىٰ سبيل التحديد (العقل ، والتفكير ، وحسن التصرف) ، فنراه بعد

---

(١)ـ ديوان أبي دواد، ص ٣٥ . الماء : العرق ، ينظر : العين ، ١/ ٣١٢ . أسهله : سال عرقه ، ينظر : الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية ،١/ ١٠٢ . تجنيب : انحناء وتوتير في الرجلين ، ينظر : الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ١/ ١٠٢ .

الشَّظَاةُ: عُظَيْمٌ لازقٌ بالوَظيفِ، وَفِي الْمُحْكَمِ: بالرُّكْبةِ، وجمعُها شَظىً، وَقِيلَ: الشَّظَىٰ عَصَبٌ صغارٌ فِي الوَظِيفِ، وَقِيلَ: الشَّظَىٰ عُظَيْمٌ لازقٌ بالذِّراعِ، فَإِذَا زَالَ قِيلَ شَظِيَتْ عَصَبُ الدَّابَّةِ. أَبو عُبَيْدَةَ: فِي رؤُوسِ المِرْفَقَيْنِ إِبْرَةٌ، وَهِيَ شَظِيَّةٌ لاصِقَةٌ بالذِّراعِ ليستْ مِنْهَا؛ قَالَ: والشَّظَىٰ عظمٌ لاصِقٌ بالرُّكْبةِ، فَإِذَا شَخَصَ قِيلَ شَظِيَ الفرَسُ، وتَحَرُّكُ الشَّظَىٰ كانتِشارِ العَصَب غيرَ أَنَّ الفرَسَ لانتِشارِ العَصَبِ أَشدُّ احْتِمالًا مِنْهُ لتَحَرُّكِ الشَّظَىٰ، وَكَذَلِكَ قَالَ = = الأصمعي. ابْنُ الأعرابي: الشَّظَىٰ عَصَبةٌ دقِيقةٌ بَيْنَ عَصَبَتي الوَظيف، وَقَالَ غَيْرُهُ: هُوَ عُظَيْمٌ دقِيقٌ إذا زَالَ عَنْ موضعِهِ شَظِيَ الفَرسُ ،ينظر: لسان العرب ،١٤/ ٤٣٣ .

وصف الفرس بما يتوافق والموروث الجمعي الجاهلي ، ينفذ إلىٰ تمييزه بنعوت البشر، كما في قـــــوله : [1] (المتقارب)

رفيعُ المعدِّ كسيد الغضـــــا تميم الضلوع بجوف رحِبْ

ضروح الحماتين سيط الذراع إذا ما انتحاه خبـــــارٌ وتبْ

فبنية النص تفصح عن صورة ذات إيقاع حركي ، تلائم الشكل الإيقاعي الذي اختاره الشاعر وهو: التســميط الداخلي المخالف لإيقاع القافية ، يعضده اختيار صيغة (فعيل) في البيت الأول وهي صفة مشبهة قُصد بها الدلالة علىٰ ثبوت ما نُسب إلىٰ الفرس من صفات، فهو رفيع الجنب ، يأبىٰ أكل الغضىٰ ، شديد خلق الضلوع ، واسع الجوف ، كثير الضرب بساقيه ، طويل الذراع ، فهذه أوصاف حسية ترسم صورة مرئية عن طريق إسناد الصفة للموصوف علىٰ سبيل الحقيقة ، ويختم البيت الثاني بصورة بيانية حيث كنىٰ عن يقظة الفرس بأن الرمال لا تجرفه ، فإذا واجهته الخبار تخطاها واثبًا كناية عن اليقظة الدائمة منه .

ويبدع أبو دواد حين يعرض لنا مشهدًا تصويريًا ، ذا لوحة كاملة الأركان لمشهد الصيد بمحاور ثلاثة هي : (الفارس ، والفرس ، والفريسة) يتخلله حوار بين الفارس وفرسه ، وقد أعلاه إلىٰ رتبة البشر فهو يعي ويفهم ما يوجه إليه من

---

(١) ـ ديوان أبي دواد ، ص٥٩. ضروح : يرمح ويضرب بحماتيه، ينظر: مقاييس اللغة ،٣/ ٤٠٠ . الحماتان : اللحم المجتمع في ظاهر الساقين من أعاليها ، ينظر : تهذيب اللغة ،٥/ ١٧٧ . الخبار : ما استرخىٰ من الأرض وغاصت فيه قوائم الدواب ، ينظر : جمهرة اللغة ، ١/ ٢٨٧ . كسد :الشَّيْء كسادا وكسودا لم يرج لقلَّة الرَّغْبَة فِيهِ ينظر :المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، إبراهيم مصطفىٰ ،أحمد الزيات ،حامد عبد القادر، محمد النجار، دار الدعوة ، بدون ،٢/ ٧٨٦ .

حديث ، ثم هي لوحة فنية لمشهد تمثيلي وسط الصحراء دون أن يلجأ الشاعر إلىٰ واحدةٍ من صنوف البيان ، فعلىٰ نغمة الخفيف يؤكد أبو دواد علىٰ صفات الفرس الأصيل ، وهو غير مجدد في وصفه ؛ لأن ما جاء به من صفات وما رسخ في ذهنه من قناعات عن هذا الفرس هو موروث اجتماعي ،لا مجال للحياد عنه، إلا أن تجديد الشاعر في الأداء ، واختياره اللفظ الناطق بالصورة ، جعل من نصه لوحة فنية يتراءىٰ فيها (الصوت ، و الحركة ، و اللون).

فالشاعر يبكر في الخروج لصيده في صحبة فرسه النشيط ، كثير العرق وهو فرس اجتمعت فيه من صفات البشر والحيوان والجماد ما جعله يقوىٰ علىٰ أداء المطلوب منه بكل دقة ، فهو يستطيع أن يميز بين الأشياء وهو أمر خاص بالبشر ، لكنه ينتمي لجنس الخيل فهو سريع الخطو والجري يشبه الرماح في طولها ، والنسور في سرعتها ، لذا فهو مندفع مستعصٍ علىٰ راكبه ، يتخلص من أي عنان وضع في لجامه ، فيعدو بقوائم شديدة وحوافر معوجة تقيه العثرات ويتمثل عنصر الصوت في حديث الشاعر مع فرسه حين رأىٰ الفريسة قد خرجت من الربوة وسلكت طريقًا علىٰ يسار الفرس مما يقلل فرصة الصيد ، حينئذ نطق الشاعر بكل ثقة بمثل عربي يقول : " كذب العير وإن كان برح " ؛ ليعبر عن رغبته في الصيد رغم صعوبته فقد أوكل المهمة لفرسه حين أغراه قائلًا له : عليك العير فصده وإن كان برح !!

فأتبعهما وقد خلّف وراءهما غبارًا امتزج بدماء الفريسة فظهر ساطعًا كأنه قوس المطر بألوانه فتزدان الصورة بعنصر اللون الزاهي، في قوله :[1] (الرمل)

تعرِفُ الدّارَ وَرَسما قد مـَصَح وَمَغَانِي الحَـــيّ في نَعْفِ طلح
وَلَقَدْ أغْدُوا بِطِـــرف هَيْكَـلٍ سَبِطِ العُذْرَةِ ميّـــاحٍ دُلـــَح
يَطَـــأُ الأَرْضَ بِوَأْبٍ صُلَّبٍ غَيْرِ مُصْطَـرٍّ وَلا جـــِدٍّ أَرَحْ
قُلتُ لَمَّا نَصَـــــلاَ مِنْ قُنَّةٍ كَذَبَ العَيْـرُ وَإنْ كَانَ بـــَرَحْ( )
وَتَرَىٰ خَلْفَهُمَـــا إذْ مَضّيا مِن غُبَارٍ سَاطِعٍ قّوْسَ قُـــزَحْ

وباستثمار دلالة الجملة الاسمية علىٰ الثبوت ، وحذف أحد طرفيها (المسند) والاكتفاء بالمسند إليه (منيف) استطاع الشاعر إحضار صورة الفرس حضورًا ظاهرًا فهو فرس طويل مرتفع ، واسع الصدر ، نشيط ، كثير الحركة لا يثبت في مكان فيحسبه الرائي مصاب بداء القماص الذي يصيب الكثير من الدواب ، والحقيقة خلاف ذلك ، فحركته ليست لداءٍ ألم به ، بل هو نشاط زائد يجلله وقار الفرس ، وهكذا قامت الصورة علىٰ كامل النسيج الصياغي ؛ الذي شكّل سيمفونية من التغني بجمال الفرس و قوته في قوله :[2] (الخفيف)

ومنيفٌ غوج اللبان يرىٰ منه بأعلىٰ علبائه إدبـــــارُ

(١)ـ ديوان أبي دواد، ص ٧٣ ، ٧٤ .

(٢) ـ المصدر السابق ، ص١٠١ .غوج اللبان : واسع جلدة الصدر ، ينظر: العين ، ٤/ ٤٢٩. علبائه: عصب تحت منبت عرفه ، ينظر :تهذيب اللغة ، ١/ ٨٣. القماص: أن لا يستقر الخيل في موضع فتراه يثب من مكانه من غير صبر ، ينظر: العين ، ٥/ ٧٠ .المراح :اسم لشدة الفرح والنشاط حتىٰ يجاوز حده ، ينظر: جمهرة اللغة ،١/ ٥٢٤.

يحسب الناظرون فيه قماصًا وهو إلا المراحُ فيه وقارُ

وهكذا قامت الصورة الحقيقية بدورها في التعبير عن مقصود الشاعر وأصبحت وسيلة نقلٍ بديعة ، أجاد فيها الشاعر عن طريق اختيار اللفظ وتوظيفه .

ثانياً ـ الصورة البيانية :

وهي الصورة المعتمدة علىٰ أحد أنماط البيان المختلفة ،وتمثل أشهر أنواع الصور وأقدمها ، وقد استخدمه الشعراء في قصائدهم قديمًا، وحديثًا في التعبير عن انفعالاتهم ، وكأنهم وجدوا فيه قدرة علىٰ نقلها إلىٰ المتلقي تفوق القدرة التي تحملها الألفاظ المباشرة ، ذلك أنه يصدر عن خيال المبدع ، فيستوجب أحاسيسه ويثير خيال المتلقي لينشئ فيه انفعالات وأحاسيس مشابهة للتي كانت عند المبدع ، فالمبدع يجد لذة في استثارة خياله وإطلاقه ليدرك دلالات الصورة والأحاسيس التي تحملها. (١)

وبإمعان النظر في شعر أبو دواد الإيادي المعني بوصف الخيل ، يمكن استجلاء أي أنواع الصور البيانية التي وظَّفها في تصوير فرسه ، فكانت كالآتي :

١ـ الصورة التشبيهية :

والتشبيه كما يراه ابن رشيق " صفة الشيء بما قاربه وشاكله ، من جهة واحدة أو جهات كثيرة ، لا من جميع جهاته ؛ لأنه لو ناسبه مناسبةً كليةً كان إياهُ " (٢)

(١) ـ الصورة الفنية في المفضليات ، ص ٦٦ بتصرف .

(٢) ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق ، ١ / ٢٨٦ .

مما لاشك فيه أن الصورة القديمة انحصرت في مجال الحس والتطابق الشكلي ، ولم تخرج بالقارئ إلىٰ مجال الشعور والخيال قياسًا إلىٰ ما عرف في الشعر الحديث – وهذه سمة أساسية من سمات الصور عند القدماء ، ومن ثم يظل التشبيه علىٰ مر العصور هو الصورة الأساسية للشعر ، لا يمكن الاستغناء عنها ؛ لأن العلاقة بين النص والقارئ قائمة علىٰ أساس الصورة المشابهة ، ومهما كانت نوعية الصورة يبقىٰ التشبيه هو الركيزة الأولىٰ ، والمنبع الأصلي لاستلهام العلاقات التي يتم من خلالها حمل المعنىٰ من واقعه العادي إلىٰ الواقع المنتظر المتخيل من الشاعر .

" والتشبيه هو فن من فنون النظم غرضه – في التصوير القديم – التفهم والتقرير وإخراج المعنىٰ من صورته العقلية إلىٰ صورة مشابهة محسوسة ، فخصوصية المبدع تتجلىٰ في قدرته علىٰ استثمار مبدأ المشابهة إلىٰ أبعد الحدود بواسطة التكثيف والربط القصدي بين المتشابهات ، وأداة التشبيه ووجه الشبه الظاهران ، يعتبران كمظهر من مظاهر الصفاقة الفنية "[1]

وقد حكم طرفي الصورة التشبيهية قديمًا علاقة منطقية حسية ، بخلاف العلاقة بين طرفي الصورة التشبيهية المعاصرة ، فهي علاقة انزياحية يعمد فيها الشاعر

(١) ـ الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية ، عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، ط١ ، القاهرة ص١٣٠ .

إلىٰ تغييب الوجه الجامع بين طرفي التشبيه ، فهي صورة الغائب ، في حين الصورة التقليدية هي صورة الحس والحضور [1] (ولا أبالغ إذا قلت : إن الصورة القائمة علىٰ التشبيه هي الأكثر دورانا في وصف الشاعر للخيل ، إن لم يكن في شعره بوجه عام ، فهو يمثل محورية الصورة ، والتقاط المعادل البصري للمشبه في الواقع المعاش ، ومن ثم أعرض بعض نماذج التشبيه ــ علىٰ سبيل المثال لا الحصر ــ قال الشاعر (الوافر) [2]

طويل عيرُ مرمق ولكن مموٍّ مثل إمرار الرشاء

ولو تفحّصنا لُحمة هذه الأبيات، لوجدناها تفصح عن صورة محكمة البناء، تأسست علىٰ المظهر الخارجي للفرس ،وقد عكست إلىٰ أي حدٍ كانت علاقة الشاعر بفرسه ، فالطول من الصفات التي جعلها العربي دليلًا علىٰ قوة وأصالة الفرس ، وقد اختار الشاعر حذف المسند وهو(الضمير) العائد علىٰ الفرس ؛ لأنه معهود في ذهنه حاضر مع سياق الحديث ، وذكر المسند إليه (طويل) لينفذ مباشرة إلىٰ ترسيخ معناها لدىٰ السامع من أول لفظ في البيت ، ولكن لما كان الطول المفرط مظنة العيب ، فقد احترس الشاعر بقوله "غير مرمق" لينفي إيهام توقع أي عيب يستلزمه طول الفرس ، وإحكاما لصورة الجمال التي أرادها

(١) ـ الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ، بشرىٰ موسىٰ صالح ، المركز الثقافي العربي للنشر ، ط١ ،١٩٩٤م، ص١٢١.

(٢)ديوان أبي دواد، ص ٣١. المرمق: الفاسد من كل شيء ينظر: تهذيب اللغة للأزهري ، ت: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،ط١،٢٠٠١،٩/ ١٢٥.

الشاعر لفرسه ؛ ختم البيت بتشبيه يُعضد مقصوده ،فأظهر فرسه صلبًا مستويًا مُحكم الخلق، كما نرىٰ من إحكام وفتل الحبل المعلق بالدلو .

وهكذا نشأت بلاغة الصورة من بلاغة التشبيه القائمة علىٰ أن الشاعر ينتقل من الشيء نفسه إلىٰ شيء ظريف يشبهه ، وصورة بارعة تمثله ، وكلما كان هذا الانتقال بعيدًا قليل الحضور بالبال ، أو ممتزجًا بقليل أو كثيرٍ من الخيال كان التشبيه أروع للنفس وأدعىٰ إلىٰ اعجابها واعتزازها [1]

ومن التشبيهات أيضا، قـــــوله :[2] (**البسيط**)

فكل قائمة تهوىٰ لوجهتها لها أتىٰ كفرع الدلو أُثعوبُ

وعلىٰ الرغم من خلو البيت من أي إشارة شعورية أو نفسية يمكن اعتبارها نتيجة حتمية لحب الشاعر لفرسه ، إلا أن الدقة والتميز في الوصف الحسي لا يأتي إلا ممن طال عهده بحياة الفرس ، وخَبِر تفاصيله ، فنراه يصف سرعته عن طريق وصف قوائمه بالإنسان الذي له هدف محدد ؛ يسرع إليه وهذا تشخيص واضح ، وتجسيد لإقبال القوائم علىٰ الفريسة كل واحدة لها غايتها المستقلة ويأتي التشبيه في الشطر الثاني نتيجة للتشخيص في الشطر الأول فسرعة القوائم نتج عنها تصبب الفرس عرقًا حتىٰ سال علىٰ كل قائمة ، وكأنه الحبل المتدلي من

---

(١) ـ البيان في الصورة ، مصطفىٰ الصاوي الجويني ، دار المعرفة الجامعية ، عين شمس ، سوتير الإسكندرية ، د.ط ، د.ت ، ص ٣٣.

(٢) ـ ديوان أبي دواد، ص ٣٥ ، أتي: سال عرقه ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ، المكتبة العلمية – بيروت ،د.ت، ٢/ ٣، أثعوب: سائل ينظر : لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط١، ١٤١٤هـ ،٣/ ٦٨٩.

الدلو لنزح ماء البئر. ومن التشبيهات البديعة في وصف الخيل قول أبي دواد :[1] (مجزوء الكامل)

وَالمَرْفِقَان لَهُ بِمّا احْتَملا كَدَعَائِمٍ عُرِضَتْ لَهَا الخُشْبُ
وَحَمَاتُهُ فِي السَّاقِ آرِزَةٌ وَصَلتْهُما الرَّبّلاتُ وَ الكّعْبُ
وَنَأتْ من الشِّمْرَاخِ رُثْمَتُهُ قَدْرَ الرَّواجِب بَيْنَهـا رَتْبُ

ولا شك أن البنية التصويرية في النص ترتكز علىٰ إيجاد معادل للمشبه يتجسد فيه المعنىٰ بشكل أعمق، فنراه حين يشبه قوة مرافق فرسه في تحملها لما يوضع فوقها من الثقل، يذكر دعائم البيت التي انتظم عليها الخشب فحملته ورفعته ، والتشبيه هنا مرسل لذكر الأداة فيه ،ثم يأتي البيت الثاني ويرسم الشاعر من خلاله صورة غاية في الدقة ؛ فهي تحدد أحد ملامح الخيل العربي الأصيل ألا وهي(صغر حجم الرأس) ؛ لأن رأس الحصان تاج محاسنه ، وأول ما يلفت النظر فيه ، ومنه يستدل علىٰ أصالته ومزاجه وصفاته ، وبالنظر في تاريخ الخيل عند العرب ، نجد الخيول النجدية هي أجودها وأعرقها ، ويرجع بعض أهل المعرفة بالخيل الصفات الجيدة التي تتميز بها هذه الخيول إلىٰ مناخ الجزيرة العربية ، خاصة هواء نجد الجاف ، وتعتبر الخيول النجدية النموذج الكامل

(١) ـ المصدر السابق، ص ٣٨. الحماة : اللحم المجتمع وسط الساقين من ظاهرهما ينظر تهذيب اللغة ١٤/ ١٩٨ آرزة: شديدة مجتمعة بعضها إلىٰ بعض ، ينظر : الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٣/ ٨٦٣ ، الربلات : الأفخاذ: ينظر : العين،٨/ ٢٦٥. الشمراخ : الغرة في الفرس إذا دقت في الجبهة علىٰ قصبة الأنف ينظر: القاموس المحيط ، ١/ ٢٥٤، الرثمة: كل بياض قل أو كثر في طرف أنف الفرس، وقيل : بياض في جحفلة الفرس العليا، ينظر : تهذيب اللغة ، ١٥/ ٦٤، الرواجب : الفرجة بين الأصابع، ينظر: تهذيب اللغة ، ١١/ ١٧٥

للحصان الأصيل ،ومن أهم ما تميز به هو صغر الرأس ، وأحسن الرؤوس ما كان علىٰ شكل هرم (قمته إلىٰ أسفل وقاعدته إلىٰ أعلىٰ مع جمال وتناسق في الشكل) ، فهو ذو جبهة عريضة تزينها غرة ، وقد أبدع أبو دواد ـ هذا الوصاف الدقيق ـ حين صور لنا حجم الرأس بطريق التشبيه محذوف الأداة ، فوصف غرة فرسه بأنها (شمراخ) وهو من الغرر ما استدق وطال وسال مقبلًا حتىٰ غطّىٰ الخيشوم ولم يصل إلىٰ الجحفلة ،فكأننا أمام فرس بغرةٍ بيضاء دقيقة متدلية حتىٰ أنفه، وقد بَعدت (الرثمة) وهو البياض الذي يغطىٰ أعلىٰ الجحفلة ، فالمسافة بينهما قليلة تشبه المسافة التي بين فرجة الأصابع ، ولا يخفىٰ إذا كانت المسافة بين الغرة والفم كمثل المسافة بين الخنصر والبنصر ما يكون من صغر الرأس ، و هو مقصود الشاعر في التعبير ، فالتشبيه جاء كناية عن صغر حجم الرأس .

وقد أحسن الشاعر حين أتىٰ بالصفة مجسدة في المشبه به بحيث تقوىٰ علىٰ إبرازها في المشبه وهذا هو المأمول من الشاعر الجاهلي ، حيث " إن التشبيه هو الإتيان بمثيل تقوىٰ فيه الصفة ، وأن النظرة القديمة قد اشترطت وجود الشبه الحسي بين طرفي هذه العلاقة في العالم الخارجي ، وحرصت علىٰ عقد المماثلات وصلات التطابق والتجانس بينهما ، في حين النظرة المعاصرة للتشبيه تقيم التماثل طبقًا للإدراك الداخلي لحركة الأشياء وانفعال الشاعر بها ، ولم يجد الشاعر المعاصر وفق هذه النظرة حرجًا في أن يعقد الصلات بين الأشياء طبقًا لنظرته الذاتية للموجودات وانفعاله الخاص بها " (١)

ومن التشبيهات المعهودة ، تشبيه مشي الفرس بمشي النعامة وقد اعتاد الشعراء ذكر هذه الصورة ، إلا أن أبا دواد أضاف إلىٰ المشبه به صفة أظهرت

(١) ـ الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ، ص ١٢١ .

وجه الشبه في المشبه به ، حين جعل الجري من النعامة خلف أخرىٰ، وقد أصابها الفزع وراعها الخطب فحول صورة المشبه به إلىٰ مشهد تمثيلي في قوله: [1] (مجزوء الكامل)

يمشيٰ كمشي نعامة تبعت أخرىٰ إذا هي راعها خطبُ

وثمة أبيات تُمثل في مجموعها صورة كلية بتجاور طريقتي الشاعر في التصوير (الحقيقي والبياني) ومن ثم آثرت ذكر الصورة الكلية المقصودة من الشاعر وتوضيح طرق أدائها ، نرىٰ ذلك في قول أبي دواد : [2] (الهزج)

وَقُدْ أَغْدُو بِطِرْفٍ هيكـــ ـلٍ ذِي مَيْعـَةَ سَكْبِ
أَسِـــيْلٍ سَلْجَمِ المُقْبَـــ ـلِ لا شَخْتٍ ولاجَأبِ
طَوِيْلٍ طَـــامِحِ الطَّرْفِ إلىٰ مَفْزَعَـــةِ الكَلْبِ
مِسَحٍّ لا يُـوَارِي العَيْرُ مِنـــــهُ عَصَرَ اللِّهب
مِكَرٍّ سَبِـــــط العَذْرَ ةِ ذِي عَفْوٍ وَذِي عَقْـبِ
كَشَخْصِ الرَّجُلِ العُرْيَا نِ فَعْمٍ مُـــدْمّجِ العَصْبِ

---

(١) ـ ديوان أبي دواد، ص ٣٩ .

(٢) ـ المصدر السابق ، ص٤٥، ٤٦ .الهيكل : الفرس الطويل الضخم كأنه الهيكل المرفوع ، ينظر: العين ،٣/ ٣٧٧.

الميعة :النشاط والسرعة ، ينظر: الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية ،١/ ١٠٧١.السكب: كثير العدو، ينظر: تهذيب اللغة ، ١٠/ ٥٠.الأسيل : الخد السهل اللين الدقيق المستوي ، ينظر: لسان العرب ،١١/ ١٥،السلجم : الطويل من الخيل ، ينظر: تهذيب اللغة ،١١/ ١٦٦،الشخت :الدقيق من الأصل لا من هزال ، ينظر: العين ،٤/ ١٦٧، الجأب:الغليظ ، ينظر: القاموس المحيط ،١/ ٦٤.

وقد احتل التشبيه التمثيلي مكانة كبيرة من بين أنواع التشبيهات عند أبي دواد ؛ فالصورة فيه لا تتم عن طريق العلاقة بين طرفي التشبيه ، وإنما من خلال تركيب فني متكامل ، ولذا فهو " أعمق في التصوير والتعبير ، وأكثر تأثيرًا في المتلقي ، وما ذلك إلا لأنه يستمد صورته من الوصف المركب المنتزع من متعدد" (١) وقد اختار الشاعر لبائيته نغمة الهزج واستقلت بوصف موقف الصيد ، وهو بذلك يختلف عن شعراء الجاهلية الذين قلَّ لديهم انفراد الغرض بالقصيدة ، وقد بلغت ثلاثون بيتًا ، حاز وصف الفرس فيها علىٰ خمسة وعشرين بيتـًا ، وأكمل القصيدة بوصف الناقة .

ويلاحظ في الأبيات أن الشاعر قد أتي علىٰ كل جزء من فرسه ، ووصفه وصفًا يعكس عمق ارتباط الشاعر به ، و درايته بأحواله ، ولم لا ؟ وهو يمتلك فرسًا فريدًا فيه من كل شيء أفضله ، وعليه فقد صارت تلك الأوصاف المرجع لكل ما قيل عن صفات الخيل العربية الأصيلة ، وكأن أهل الخبرة بالخيل استقوا كلامهم من شعر أبي دواد .

فالأبيات بأوصالها الصياغية تمثل صورة كلية ، تكونت من مجموع صور جزئية تلاحقت وتراصت بصورةٍ مكثفةٍ وسريعة ، تتناسب ونغمة الهزج ، وكأن الشاعر يتغنىٰ بفرسه الذي جاء علىٰ هذه الهيئة ، والصور في القصيدة متنوعة تجمع بين الصور الحقيقية والمتخيلة ؛ فتعطي كل منهما ملمحًا خاصًا، وترسم عضوًا محددًا، فتبدو اللوحة الفنية في النهاية مجسدة لصورة الفرس وكأننا نراه رأىٰ العين .

(١) ـ البيان في ضوء أساليب القرآن ،عبد الفتاح لاشين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط٢، ١٩٨٨م، ص ٥٤.

وقد استهل الشاعر القصيدة بعنصر الحركة والسرعة ؛ لملاءمتهما لغرض الصيد ، وشدة الحاجة إليهما في التمكن من الفريسة ، فهو يبكر بفرس ينتمي لأصل كريم عتيق ، فأسند إليه كل صفات كرم الخيل إجمالًا ، حين وصفه بـ (طِرْفٍ) ثم أكد تلك الأوصاف حين ذكرها تفصيلًا بعد ذلك ، فلا غرابة أن يكون هذا الفرس ذا نشاطٍ وحركة ، وسرعة جرىٰ ، ولم لا؟ وهو دقيق الخد ، طويل الجسم، لا يوصف بالدقة ولا بالغلظة ، بل يقف موقفًا وسطًا ، عبّر عنه حين جمع بين المتناقضين (شخت ،جأب)، وبتجاور اللفظين حدد الشاعر جسم الفرس كأدق ما يكون الوصف

ثم يستكمل لوحته ،فهو فرس طويل وذكي، يرفع عيناه مترقبًا وثب الكلب علىٰ الفريسة ، فإذا به يبادرها لسرعته ونشاطه ، وهو في سرعته لا يبدو للناظر أنه يجرىٰ بل كأنه يصب الجري صبًا، فهو شبيه بالمطر في سرعة انصبابه ولذا لا يستطيع الحمار الوحشي أن يتوارىٰ في ملجئه ، فهو أمام فرس يمتلك كل أنواع الجري ،و يعرف كيف يستخدم كل نوع منها لإتمام مهمة الصيد.

والهيكل في الفكر القديم يطلق علىٰ النجوم والكواكب ، وقد سميت بالهياكل وعبدها القدماء ، وكذلك دلت علىٰ المعابد ، وهي بناء ضخم يضفي علىٰ الفرس هيبة كبيرة أرادها الشاعر حين وصف فرسه بالهيكل .

والتشبيه كمسعىٰ بلاغي يعني تكييف النص الأدبي نحو المعنىٰ ، ومنها تظهر سيطرة المبدع علىٰ سير العملية الإبداعية ، فطرفا التشبيه عند أبىٰ دواد ـ في الأغلب ــ حسيَّان ، وهو بذلك يصرف الذهن في إدراك الصورة إلىٰ مرتكز عياني ، فينقل المتلقي إلىٰ عالمه ومجتمعه وبيئته الحسية ، وهو أمر لا يحتاج إلىٰ جهد عقلي في تصور المعروض (المشبه ، المشبه به) وكأنه يستشهد بالمعالم

والمشخصات التي تقع عليها حواس المجتمع العربي ، لأنه مجتمع منصهر في البيئة ومعها، قـــال أبو دواد : [1] (الهزج)

تَرَىٰ فَاهُ إِذَا أَقْبَـــ ـــلَ مِثْلَ السلق الجَـــــدْبِ
نَبيل سّلْجْم اللَّحْيَيْـــ ـــن صَافي اللَّون كالقُلْبِ
صَحِيحِ النّسْرِ وَالحَافـــ ـــرِ مِثْلِ الغُمَرِ القَعْـــبِ
لَهُ بَيْنَ حَـــوَامِيْهِ نُسُورٌ كَنَـــوىٰ القَسْـبِ
وَأَرْسَـــاغٌ كَأَعْنَاقِ ضِبَـــــاعٍ أَرْبَعٍ غُلـــبْ

من الواضح في هذه البنية النصية أن ثمة صورة تشبيهية لأعضاء الفرس المختلفة ، ففي البيت الأول يشبه فم الفرس في استوائه وتجويفه ، بقاع الأرض المستوي الذي لا شجر فيه ،ثم هذا الفرس مُحكم الخلق متناسق الشكل ، كالسوار يكون نظمًا واحدًا ،ثم يشبه حافر الفرس بالقدح الصغير الذي يقسم به الماء إذا قلَّ في السفر (بحيث يرمىٰ كل شخص فيه حصاة ويعطي كل منهم من الماء قدر ما يغمر هذه الحصاة) ويتعمق في وصف هذا الحافر مصورًا ما بين حافتيه من (نسور) وهىٰ لحمة صلبة في باطن الحافر كأنها نوىٰ (القسب) وهو

(١)ـ ديوان أبي دواد ، ص ٤٨، ٤٩ ، ٥٠ .السلق : القاع المطمئن المستوي الذي لا شجر فيه ، ينظر : تهذيب اللغة ، ٨/ ٣١٠ .الجدب : الممحل ، ينظر : أساس البلاغة ، ١/ ١٢٤ .القلب: السوار ، ينظر : مختار الصّحاح = = ١/ ٢٥٨ ، القعب : الجري بعد الجري ، ينظر : لسان العرب ١/ ٦١٣، النسر: شيء يشبه النواة يكون في الحافر ، ينظر : القاموس المحيط ، ١/ ٤٨١ .الغمر : قدح صغير ، أو هو أصغر الأقداح ، ينظر : تهذيب اللغة ،١/ ١٨٦ ، القسب : التمر اليابس أو الرديء ، ينظر : أساس البلاغة ،٢/ ٧٥، الغلب : الغلاظ الرقاب ، ينظر: الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ١/ ١٩٥.

التمر اليابس يتفتت في الفم صلب النواة ، قـــال الليث : " نوىٰ القسب : أصلبُ النوىٰ"[1] .

وها نحن نتابع الشاعر في تشبيهاته لنرىٰ كيف وظّف معالم البيئة ، وكيف كانت المصدر الأول ، بل الأوحد لتشبيهاته ، يستقي منه إبداعه وفنه ؛ فيشبه أرساغ الفرس في ضخامتها وصلابتها بعنق الضبع ، والضبع من الحيوانات التي تعرف بضخامة العنق ، وبهذا يكون الشاعر قد استوعب الطبيعة الجاهلية بمظاهرها المختلفة بما فيها من رموز ودلالات،يقول [2] (المتقارب)

وهادٍ تقدم لا عيب فيه كالجذع شُذب عنه الكربْ

إذا قيد قحم من قاده وولت علابيُهُ واجلـــــعبْ

كهزِّ الردينىٰ بين الأكفِّ جرىٰ في الأنابيب ثم اضطربْ

في البيت الأول يشبه الشاعر عنق الفرس بجذع الشجرة أو النخل إذا أزيل عنه قشره؛ دلالة علىٰ طول واستقامة العنق فضلًا عن نعومة ملمسها ،ثم يصف فرسه بالقوة بحيث إذا قُيّد احتال لتخلص من قيده فأحدث هزة كاهتزاز الرمح المقوم القوي، حين يلتطم في عظام قصبة الحلق في القتال ، فتحدث اهتزازًا دلالة علىٰ

(١) ـ لسان العرب ،١/ ٦٧٢.

(٢) ـ ديوان أبي دواد ، ص ٥٩ .الهادي : العنق ، ينظر: جمهرة اللغة ، ١/ ٣٠٤،الكرب:أصول سعف النخل ، ينظر: تهذيب اللغة ،٩/ ٥١،العلباوان : عصبتان في العنق ، ينظر : لسان العرب ،٦/ ٢٩٧، اجلعب : امتد ومضىٰ في السير ، ينظر: جمهرة اللغة ، ٢/ ١١١٣ .الردينى: صفة للرمح ، نسبة إلىٰ امرأة اسمها ردينة كانت تقوّم الرماح ، ينظر: مقاييس اللغة ،٢/ ٥٠٥.

قوة الضربة التي أحدثها الرمح ،والتشبيه هنا هيئة بهيئة ؛إذ يتكون طرفاه من عدة عناصر مجتمعة ، وقد يبدو المشبه به غريبًا ، لكنه يلائم حياة العرب في الجاهلية ، فقد عُرفت بكثرة الحروب وطول أيامها، إضافةً إلىٰ كون الشاعر فارسًا ، فرؤية صورة المشبه به في ساحة القتال لها ما يبررها .

ويلاحظ في بعض تشبيهات أبي دواد ، تتبعه للوصف وتأكيده إياه حتىٰ يراه قويًا في تجسيد المعنىٰ، ومن ذلك قـــــوله :[1](الخفيف)

سلهب شرجب كأن رماحًا حملته وفي السراة دموجُ

فقد أشار الشاعر إلىٰ طول قوائم الفرس ضمنا في لفظ (سلهب) فهو الفرس الطويل ، ثم صرّح بطولها في (شرجب) ، ثم أكد الصفة حين شبهها بالرماح ، فالفرس لا تحمله القوائم ، بل تحمله الرماح مع التئام وصلابة الظهر ،وهكذا تابع الشاعر الصورة متدرجًا بها في الوصف حتىٰ وصل إلىٰ أقوىٰ درجات الصفة وثمة نموذجًا آخرًا تتعاضد فيه الصور المختلفة ؛ لتبرز كل واحدة منها جانبً ا لا يقوم بدونها، ثم تتآزر في إبراز النص وكأنه لوحة مكتملة الأركان ، نرىٰ ذلك في قـــول أبي دواد:[2] (مجزوء الكامل)

وَطِمِرَّةٍ كَهِرَاوّةٍ الـــــ أعْزَابِ لَيْسَ لَهَا عَدَائِـــدْ

(١) ـ ديوان أبي دواد ، ص ٦٧.السلهب :العظيم الطويل من الخيل ، ينظر : العين ، ٤/ ١٢٢.شرجب: الطويل القوائم أو الفرس الكريم الجواد ، ينظر: تهذيب اللغة ،١١/ ١٦٣.دموج: استكام والتأم ، ينظر: أساس البلاغة ،١/ ٢٩٧.

(٢)ـديوان أبي دواد ، ص٨٨ ، ٨٩ .هراوة الأعزاب: اسم فرس لبني عبد القيس ، ينظر: لسان العرب ، ١٥/ ٣٦١،عتد : شديد تام الخلق سريع الوثبة ، ينظر : تهذيب اللغة ، ٢/ ١١٦ .

عَبْلُ الشَّوَىٰ عَتِدٌ كَذَلـــ ـــقِ الزُّجِّ مُحْضِيرٌ مُبّاعِـدْ
وَبَدّتْ لَهُ أُذُنٌ تَوَجَّـــ ـــسُ حِـرَّةٌ وَأحـــــَـمُ وَارِدْ
وَقَوَائِمٌ عُوجٌ لَهَـــا مِنْ خَلْفِهَا زَمَـــعٌ زَوَائِـدْ
كَمَقَاعد الرَّقْبَاء للضّـــَرباء أيْـــديهمْ نـَواهـــــِدْ
لَهِقٌ كَنَارِ الرأس بِالـ ـعَلْيَاءِ تُـــذْكِيهَا الأَعَابِـدْ

فالمتأمل في الأبيات يجد أن فرس الشاعر ــ خاصة ــ يمثل محور الوصف الشعري ، ومدار التجربة ، ومركز الاستقطاب الدلالي (مبنىٰ ومعنىٰ) ؛ إذ خَلصت القطعة الوصفية له ،من خلال البنىٰ اللغوية التي اختارها أبو دواد ، وحمّلها ما يريده من صفات :

❖ ــ ففي البيت (الأول) يشبه فرسه في ضمورها " بهراوة الأعزاب " وهي فرس لبني عبد القيس كانوا يركبونها ويستعيرونها حتىٰ صارت ضامرة إلىٰ أقصىٰ حد، فضرب بها المثل في الضمور.

❖ ــ ثم يشبه في البيت (الثاني) حوافر الفرس في صلابتها بالحديدة التي في أسفل الرمح .

❖ ــ و في البيت (الرابع) يشبه إقبال الأذن و شغفها لسماع صوت الفريسة ، بلهفة الظمآن للماء ، وهو تشبيه معنوي بمحسوس تتجسد فيه اللهفة وسرعة الإقدام .

❖ ــ ثم في البيتين (الرابع والخامس) صورة واحدة مركبة ، حيث يشبه قوائم الفرس مع ارتفاعها وقد علاها نتوءات لحمية ، بهيئة أناسٍ قاموا بحراسة

أمرٍ ما ، فخصص لهم مكاناً مرتفعًا، حتىٰ يتمكنوا من الاطلاع التام ، وأيديهم مرتفعة ، كناية عن دوام استعدادهم.

❖ ــ وترتكز الصورة في البيت(السادس) علىٰ عنصر اللون ، ففرسه أبيض، مثل نار الأعاجم التي رفعوها إلىٰ أعلىٰ مكان ، وخصصوا لها عبيدًا يعملون علىٰ استمرار اشتعالها بحيث لا تنطفئ ، والتشبيه مفرد بمركب ، وعليه فإن الصورة بكل أجزائها، ما هي إلا حشد من عناصر دلالية، تشكل وحدة متكاملة، هدفها إبراز صورة الفرس كما رآها أبو دواد .

ويلاحظ علىٰ بعض صور أبي دواد المبالغة في الوصف ، اعتمادًا علىٰ عنصر الخيال ، الذي يعمل علىٰ تقريب المعاني المطروحة من الواقع ، ومن ثم حمْل القارئ علىٰ قبولها والتسليم بها ، فنراه يدعي بلوغ فرسه الغاية في الجمال علىٰ وجه الإجمال ، ثم يردفه بالتفصيل المُجَسِّد لكل عضوٍ منفصل ، ولم يفته أن يصور لنا صوته ، حين جعل له وقعًا يشبه صوت اندلاع الحريق في الغاب الأخضر ، يقول :[1] (الخفيف)

ملهبٌ حسهُ كحسِ حريقٍ وسط غابٍ وذاك منه حضارُ

يرىٰ أبو دواد في فرسه الكمال ؛ فهو الفرس المثال في كل أمر، وهذا ما يفسر تعمد الشاعر في التقاط المشبه به مختلفًا، فيشبهه مرة بالجماد وثانية بالحيوان وثالثة بأحد الطيور، وربما أنسنه وجعله بشر ، فيقوىٰ وجه الشبه في المشبه به تأكيدًا علىٰ اتصاف (المشبه) بوجه الشبه

(١) ـ ديوان أبي دواد، ، ص ١٠١ .

يقول الشاعر:[1] (الخفيف)

هو سمع إذا تمطر ماشيـًا وعقاب يحثها عسبارُ

فالشاعر حذف أداة التشبيه ؛ لادعاء أن المشبه هو نفسه المشبه به، فهو ذئب في عدوه ومشيه ، والتشبيه هنا مفصل لذكر وجه الشبه ، ثم هو عقابٌ ،وقد اختار العقاب بعد الذئب؛ ليعطي لفرسه صفة الأسطورية التي تمكنه من العدو علىٰ الأرض كالذئب أو التحليق في السماء كطائر العقاب ، واختيار العقاب ، موفق من الشاعر ؛ لأنه من فصيلة الصقريات شديد البأس حاد البصر ، قوي المخالب ، سريع الطيران ، وكلها أوصاف مقصودة من الشاعر لفرسه، ولم يكتف بذلك بل جعل هذا الطائر مطاردًا من الضبع مبالغة في سرعة الجري .

ويتنوع التشبيه عند أبي دواد باختلاف طرفاه إفرادًا وتركيبًا ،إيمانًا منه بدوره وفاعليته في نقل المعنىٰ ، وثراء النص ، ومن ذلك قوله: [2] (الطويل)

لَهُ أَثَرٌ فِي الأَرْضِ لَحْبٌ كَأَنَّهُ نَبِيث مَسَاحٍ مِنْ لِحَـــاءِ مَهِيقِ

فَأَدْبَرْنَ وَاسْتَوْثَقْتُهُنَّ بِسَمْحَجٍ خَفِيفِ الجِرَاءِ كَاضطِرّامِ حَرِيْقِ

فالنص بنسيجه اللغوي يقدم صورة مكثفة من التشبيهات ، التي تتعاضد في رسم الصورة كما رأتها عَيْنَا الشاعر ، أو كما ارتضاها خياله ، فالتشبيه في البيت **الأول** هيئة بهيئة ، والطرفان فيه يدركان بالبصر ، فالشاعر يصور ما يتركه الفرس

(١) ـ المصدر السابق، ص١٠٦ .السمع : ولد الذئب من الضبع ، ينظر : تهذيب اللغة ، ٢/ ٧٤ .العسبار :ولد الضبع من الذئب ، ينظر: الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية ،٢/ ٧٤٦ .

(٢) ـ السابق، ص ١٣٨ .

من أثر في الأرض نتيجة لسرعته ، وصلابة حوافره بهيئة التراب المتراكم المستخرج من حفر البئر، وقد يكون وجه الشبه أقوىٰ و أظهر في غير ما جاء به الشاعر من (مشبه به) ، إلا أن دلالة المشبه به علىٰ جانب من حياة العرب ، وارتباط الشاعر ببيئته يضمن لهذا التشبيه الجودة الفنية .

ثم يأتي التشبيه في البيت **الثاني** مؤكدًا علىٰ سرعة الفرس ، فشبه سرعة جريانه باندلاع النار واشتعالها بحيث لا يستطيع أحد إيقافه ، أو الحدّ من سرعته ، ويتولد عن هذا التشبيه عدة عناصر :

أولها : عنصر الحركة: المتمثل في سرعة الفرس ويقابلها حركة اشتعال النار.

ثانيها : عنصر الصوت : ويتمثل في صوت جري الفرس وعدوه ، ويقابله صوت اندلاع النار .

ثالثها: عنصر الحجم : المتمثل في ضخامة الفرس والمستفاد من لفظ (سمحج) يقابله علو النار وارتفاعها .

وأختم الحديث عن هذا اللون البياني (التشبيه) ــ الذي أغرم به أبو دواد حتىٰ نراه يتابع بين التشبيهات ويولي بعضها بعضًا فتأتي بصورة مكثفة ؛ لمحاولة إبراز الأمر المعنوي في صورة المحسوس أو تجسيد وجه الشبه في الطرف الثاني (المشبه به) ــ بنصٍ يقدم تصويرًا بديعًا للفرس باستلهام مظاهر الطبيعة المختلفة ،وهي قصيدة من بحر الخفيف، بلغت تسعة عشر بيتًا، استهلها بالغزل في خمسة أبيات، وهذه الظاهرة المعروفة عند الجاهليين يقل وجودها في ديوان أبي دواد عامة ، وفي قصائد ومقطوعات وصف الفرس خاصة، فلم تتجاوز النموذجين ، ثم يستطرد الشاعر في وصف فرسه محاولًا إيجاد معادلًا موضوعيًا لكل ما يحمله فرسه من جمال .

يقول الشاعر :[1](الخفيف)

وَهْمَةٌ تَتْرُكُ الرَّضِيمَ طَحِيْنًا ... بِنُسُورٍ لَهُنَّ وَقْعٌ مُدِيـــمُ
سَلِطَاتٍ رُكِّبْنَ فِي عَجَرَاتٍ ... مُكْرَبَاتٍ لَمْ يُجْفِهَا تَقْلِيـــمُ
وَنُسُورٍ كَـــأَنَّهُـــنَّ أَوَاقٍ ... مِنْ حَدِيدٍ يَشْقَىٰ بِهُنَّ الرَّضِيمُ
وَلَهَا مَنخِرٌ كَمِثْلِ وَجَارِ الضَّـــ ... ـبْعِ يَذْرِي لَهَا العَجَاجَ السَّمُومُ
وَهْيَ شَوْهَاءُ كَالجُوّالِقِ فُوْها ... مُسْتَجَافٌ يَضِـلُّ فِيهِ الشَّكِيـمُ
طَوِيَتْ كِبْدُهَا عَلَىٰ الضِّيقِ الأَسْـ ... ـفَلِ طَيًّا كَأَنَّـــــــهَا قُرْزُوْمُ
كُلْيَتَاهَا كَالمَرْوَتَيْنِ وَقَلْـــبٌ ... نَبَضِيٌّ كَأَنـــــــهُ بـــرُعُـومُ

يصف الشاعر في الأبيات الثلاث الأولىٰ قوة الفرس وشدة ضربه بقوائمه في الأرض ، وقد بلغ من شدتها أن تُصيِّرُ الحجارةَ الصلبة طحينا ، و المبالغة في الوصف صبغت الفرس صبغة أسطورية ، فادّعىٰ الشاعر وصفًا بلغ في الشدة حدًا مستحيلًا [2]، متمثلًا في لون من التصوير الفني وهو الكناية ، ثم أتبعه بدليلين؛ محاولة منه تبرير الوصف وتقريبه، هما:

١ـ أن قوائم فرسه تنتهي بحوافر صلبة مدببة لم يسبق لها تقليم .

٢ـ كما تحوي هذه القوائم نتوءات لحمية صلبة ، كأنها مكاييل الزيت الحديدية .

(١) ـ ديوان أبي دواد ، ص١٥٥ ، ١٥٦، الجوالق : وعاء ، مختار الصّحاح ،١ / ٥٩ . الحديدة المعترضة فِي الفَم، ينظر : تهذيب اللغة ،١٠ / ٢٢ .

(٢) ـ ينظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبه ، وكمال المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، د ط ، ١٩٧٩م،ص١٨١

ويسترسل في الوصف فيجعل منخره يشبه جحر الضبع في سعته ، أما البيت الخامس فيشمل أربع صورٍ مختلفة النمط :

الصورة الأولى : حقيقية : حين جعل فرسه (شوهاء) وهي في الخيل الحسنة إذا كانت طويلة الرأس واسعة الفم والمنخرين ، فجاءت الصورة عن طريق اختيار الشاعر اللفظ المعبّر عن مقصده ، دون لجوء لأي من صور البيان .

الصورة الثانية :بيانية: طريقها التشبيه ، حيث شبّه فاه بالجراب الواسع " كالجوالق فوها ".

الصورة الثالثة : بيانية: قائمة علىٰ " التشخيص " المبني علىٰ الخيال ، الذي يصور سعة جوف الفرس بأنها مفازة يضل الماشي فيها " يضل فيها الشكيم " ولا شك " أن نوعية الخيال وإمكانياته هي ما تميز الفنان المبدع عن غيره " (١)

الصورة الرابعة : كناية عن سعة الفم ، حيث جعل الشكيمة وهي الحديدة التي تعترض الفم تضل طريقها من سعة الفم ، وقد أظهر تلك الكناية حين شخص الشكيمة ، وجعلها إنسانًا وأسند إليها الفعل(يضل) ، وكأنها صارت عاقلًا تبحث عن طريقها ـ عبثًا ـ فتضله؛ لسعة المكان الذي ضاعت فيه .

ومما سبق يمكن القول بأن وصف أبي دواد جاء بلغة قد يراها القارئ غامضة ، يستتر المعنىٰ خلفها ، والحقُ أن الشاعر الجاهلي صحب الفصحىٰ، و وجّه شعره إلىٰ بني عصره ، فبُعد العهد بينه وبيننا تجعلنا نستشعر غموض الألفاظ .

وأخيرًا، فإن " قرب التشبيهات لا يعني ابتذالها ، لأن كثيرًا من الصور لا يمكن التعبير عنها إلا بصورة مألوفة قريبة ، ولكنه يدل علىٰ أن العرب كانت تحب

---

(١) ـ الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، جابر عصفور ،دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م، ص١٣.

الوضوح والبساطة وعدم التعقيد ، وهذا ما جعل قرب التشبيه ، وحسن مأخذه من أسس عمود الشعر العربي التي لحظها النقاد واهتموا به "[1] ومن ثم كان قرب التشبيه عند أبو دواد الموغل في القدم له ما يسوغه ويبرره .

ثانياً ـ الصورة الاستعارية :

جاءت الصورة الاستعارية في المرتبة الثانية بعد الصورة التشبيهية في تصوير أبي دواد للخيل ، وأهمية الاستعارة ترجع إلىٰ " قدرتها علىٰ الإيحاء والإيماء واعتمادهما علىٰ التلميح ، بدل التصريح ، فهي تخلق في النص عالمًا مجازيًا خياليًا إيحائيًا ، يعطي الكثير من المعاني باليسير من اللفظ "[2]

وقد تعددت أنماط الاستعارة في شعر أبي دواد ، من تشخيص وتجريد ، وتختلف هذه الأنماط ضمن علاقة المشابهة في درجاتها بين البساطة والتعقيد والوضوح والخفاء ، تبعًا لطبيعتها التشكيلية وما يحتاجه كل منها من قدرات ذهنية وطاقة تخيلية ،وعليه، فإني أستعرض بعضًا من نماذج الاستعارة عند الشاعر؛ لمعرفة السياق الدلالي الذي انشقت عنه، يقول الشاعر :[3] (مجزوء الكامل)

كالسيد ما استقبلته وإذا ولَّىٰ تقولُ ململمٌ ضَرْبُ

---

(١)ـ الصورة الفنية في المفضليات ، ص ٧٢ .

(٢) ـ البلاغة والأسلوبية ، مقدمات عامة ، يوسف أبو العدوس ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط١ ١٩٩٩م ، ص ١١٥ .

(٣)ـ ديوان أبي دواد ، ص ٣٩ . ململم: مجتمع الخلق ، ينظر: لسان العرب ، ١٢/ ٥٥٠،ضرب : حفيف اللحم ، ينظر : العين ،٣/ ٢٤٩ .

ومن المؤكد أن أبا دواد كان يركز في صوره علىٰ علاقة المشابهة ؛ ولذا تكثر فيها الاستعارة ، التي استقىٰ مادتها من الطبيعة ، معتمدًا في تشكيلها علىٰ التشخيص ، ويبدو ذلك في البيت السابق، حين وصف فرسه بالهيبة والوقار والجلال فهو حين يقبل يكون سيدًا مهابًا ، وإذا أدبر رأيت جسمًا مجتمع الخلق مع نحافة اللحم ، وضخامة صدر الفرس دليل عتقه؛ إذ يتوفر للحصان مكان كافٍ لرئتيه الكبيرتين ، مما يساعد علىٰ إدخال أكبر قدر من الأكسجين فيقطع المسافات دون تعب أو عناء .

ومن الصور الاستعارية قـــــول الشاعر: [1] (الهزج)

يخد الأرض خدًا بـــ ـصُمُل سلط وأبِ

أصل الاستعارة في البيت : شبه الشاعر ما يحدثه الفرس بحافره في الأرض بمن يشق الأرض شقًا ، ثم حذف المشبه وأبقىٰ المشبه به وهو الخد أي الشق ، ثم اشتق منه الفعل (يخد) علىٰ سبيل الاستعارة التبعية ،وقد جاء بما يلائم المشبه وهو أن الحافر شديد الخلق صلب (الصمل) كما أنه حافر معقب (الوأب)أي علىٰ هيئة العقب وهو حافر محمود ؛لأنه كثيرُ الأخذ من الأرض .

و التشخيص هو أحد طرق الاستعارة ، وهو ظاهرة بلاغية مهمتها إنزال الأفكار والمعاني في منزلة الأشخاص ، وتتحول من خلاله اللامرئيات إلىٰ مرئيات ينفث فيها المبدع روح الحركة فتؤدي وظيفتها داخل النسق النصي " إذ تزيل

(١)ـ المصدر السابق ، ص ٤٩ . الصمل: صفة للحوافر الشديدة الخلق الصلبة ، ينظر: تهذيب اللغة ،٢/ ١٩٥ .السلط: الطويل الشديد ، ينظر: القاموس المحيط ، ١/ ٦٧١، الوأب :صفة للحافر المعقب الكثير الأخذ من الأرض ، ينظر : تهذيب اللغة ، ١٥/ ٤٣٧ .

الاستعارة الحواجز بين الإنسان وما سواه ، فإذا كل شيء ينطق ويعي ذاته ويتحرك ، ويتجلىٰ جوهر التشخيص في إضفاء السمات البشرية ، وإسباغ العواطف الإنسانية علىٰ الموجودات في هذه الحياة ، وبقدر تفنن الشاعر في بث الحياة الإنسانية وإلحاق الأعضاء والأفكار و الأفعال والصفات بالجمادات أو الكائنات غير العاقلة " [1]

ومن صور التشخيص قـــول الشاعر : [2] (الخفيف)

مُخلطٌ مِزْيَلُ مِعَن مِفَرُ مطرح مصرح جموح خروجُ

أظهر الشاعر فرسه في الشطر الأول كأنه إنسان، أسند إليه من خصائص البشر ما جعله يخالط الأمور ، ويجمع الأشياء ويميز بينها لقوة فكره، ثم شبهه في الشطر الثاني بالرماح في الطول في قوله: (مطرح) ثم بالصقر طويل الجناح في قوله: (مضرح) وهو فوق كل ذلك فرس مندفع مستعصي علىٰ راكبه.

ومن الصور الاستعارية أيضـًا قـــول الشاعر:[3] (مجزوء الكامل)

ويصيخ أحيانًا كما اســ ـتمع المضل لصوت نِاشدْ

أضحىٰ بذىٰ العلجان يلْـ ـجذ بارضًا والدمع جامـــــــدْ

(١)ـ الصورة الاستعارية في الشعر العربي الحديث ، وجدان الصائغ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،ط١، الأردن ، عمان ٢٠٠٣م،ص ٣٧ .

(٢) ـ ديوان أبي دواد ، ص٦٧ .

(٣) ـ المصدر السابق ، ص٨٩ .

فالصورة البيانية في البيت الأول اعتمدت علىٰ التشخيص، حيث أسند لفرسه فعل البشر ، وهو الإنصات والإصغاء ، عن طريق الاستعارة التبعية في الفعل " يصيخ" وهو بذلك أخرجه من دائرة الأنعام ، وأسند إليه ما لا يصدر إلا عن ذي عقل ، ثم ذيل الاستعارة بتشبيه ؛ لتأكيدها وبيان درجة هذا الفعل عند الفرس ، فذكر أن فرسه يصغىٰ إصغاءً تامًا كما ينصت (المُضل) الذي فقد حاجته لصوت " الناشد" وهو المعرف الذي وجدها ، وهكذا تستقيم الصورة علىٰ رأي من قال أن الناشد غير الطالب ، أما من قال أن الناشد هو الطالب فُيحمل علىٰ أنه غريب من كلام العرب . (١)

و تأتي الاستعارة في البيت الثاني باستعارة الفعل (يلجذ) و هو حقيقي عند الإنسان ، لفرسه علىٰ سبيل الاستعارة المكنية ، للدلالة علىٰ شدة وصلابة حوافره وكذلك سرعة سيره التي تتعمد اقتلاع نبات العلجان حين نزل بأرضه ، وقد جمدت الدموع بعينيه .

وعن طريق الاستعارة يُعلىٰ الشاعر من شأن فرسه، حين يخبرنا عن اهتمامه به كعادة العرب في قضاء الوقت الطويل للقيام بشأنه ورعايته ، فيقـــول: (٢) (المتقارب)

---

(١) ـ نشدت الضالة: إذا ناديت وسألت عنها ، يقول ابن سيده : نشد الضالة : طلبها وعرفها ، وقال الأصمعي : كان أبو عمرو بن العلاء يعجب من بيت أبي دواد ، قال: أحسبه قال هذا وأراد بالناشد رجلا قد ضلت دابته ، فهو ينشدها ، أي يطلبها ليتعزىٰ بذلك ، وقال ابن المظفر: وهذا من عجيب كلامهم أن يكون الناشد الطالب والمعرف جميعا، ينظر : لسان العرب ،٣/ ٤٣١ .

(٢) ـ ديوان أبي دواد ،ص ١١٠ .

فبتنا عراة لدىٰ مهرنا ننزع من شفتيه الصُّفارا

فقد قضوا ليلتهم ينزعون من شفتي الفرس ما علق بها من الشوك ، كناية عن شدة العناية به ، وقد شبه جحفل الفرس بشفتي الإنسان ثم حذف المشبه ، واستعار للفرس (الشفة) علىٰ سبيل التخييل الذي يعكس علو ومكانة الفرس في قلب صاحبه .

ثالثًا ـ الصورة الكنائية :

وهي من العناصر التي يلجأ إليها الشاعر في تشكيل صوره ؛ لكونها تُسهم في تشكيل الصورة بذاتها دون الامتزاج مع عناصر أخرىٰ ، حتىٰ عُدت من أوضح معالم الصورة في الشعر(١) ، وقد اعتبرها الجرجاني أبلغ في الإفصاح عن المعنىٰ ، وأن التعريض بها أبلغ من التصريح ؛ ذلك لأنها تزيد في إثبات المعنىٰ وتجعله أكثر بلاغةً وأشد توكيدًا(٢)

والنموذج الشعري في وصف الخيل عند أبي دواد لم يخل من كنايات رائعة ، أخفت وراءها معنىٰ مقصود ، أو شكل معين ، وتأتي الكناية في المرتبة الثالثة بعد الاستعارة ،وهذا يؤكد ما ذكر من إيثار العربي القديم الوضوح في التعبير الذي يتناسب مع وضوح بيئته ، ووضوح نفسه ومشاعره ، وتكمن القيمة البلاغية للكناية فيما تحويه من دلالات تنقل المستمع من معنىٰ إلىٰ معنىٰ آخر وهو ما

(١) ـ ينظر : الصورة الفنية في شعر دعبل الخزاعي ،إبراهيم أبو زيد ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢، ١٩٨٣م، ص٣١٥.

(٢) ـ ينظر: دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه ، محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٥، ١٩٨٩م ، ص٥٦ـ٥٧ .

عرف بمعنىٰ المعنىٰ[1] المأخوذ من تقعيد عبد القاهر الجرجاني للكناية بحيث " لا يذكر المعنىٰ المراد باللفظ الموضوع له في اللغة ، وإنما يجيء إلىٰ معنىٰ هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ إليه ، ويجعله دليلًا عليه ." [2]

ومن أمثلة الكنايات عند أبي دواد قـــــــوله : [3] (الهزج)

سما فوق منيفات طوال كالقنا سُلبِ

فمحور البيت يدور حول وصف قوائم الفرس ، وقد كنىٰ عنها بصفة من لوازمها في قوله: (منيفات)، بعد أن أسند الفعل (سما) إلىٰ ضمير الفرس ؛ ليثبت له مدلول الفعل من الرفعة والعلو ، ثم جعل هذا العلو فوق الجبال المرتفعات كناية عن طول القوائم ، مؤكدًا هذا المعنىٰ بما ذكره من تشبيه القوائم بالرمح في نهاية البيت .

ومن الكنايات الدقيقة عند الشاعر قــوله :[4] (البسيط)

يردي علىٰ سبطاتٍ غير فائرةٍ خضر السنابك لم تقلب ولم تُربِ

صُمُ النسور صحاح غير عاثرةٍ ركبن في محِصات ملتقىٰ العصبِ

في البيت الأول يصور الشاعر هيئة سير الفرس، فأسند إليه الفعل (يردي) بدلًا من (يمشي ، أو يجري) ؛ قاصدًا اختيار الفعل بدلالته علىٰ نوع خاص من المشي ، يصاحبه وجود حركي وصوتي ينتج عن رجم الفرسُ الأرضَ بحافره ،

(١) ـ الصورة الفنية في المفضليات ، ص١٣٣ .

(٢) ـ دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ،ص ٦٦.

(٣) ـ ديوان أبي دواد ،ص ٥٣ .سُلب : طويل ، ينظر : تهذيب اللغة ، ٦/ ٢٩٤ .

(٤) ـ المصدر السابق ، ص ٥٥ .يردي : يمشي ، ينظر: لسان العرب ، ١٤/ ٣١٨ .

ولكن الشاعر لم يصرح (بالحافر) وإنما كنىٰ عنها بلوازمها فهي (منتشرة العصب) في الشطر الأول ، ثم بلونها في الشطر الثاني (خضر السنابك) ، فهي حوافر سوداء خلت من العيوب والجروح ، فلم تصبها يدُ البيطار .

ثم يكنىٰ في البيت الثاني عن قوائم الفرس ، حين ذكر أن نسور الحافر سلمت من العيوب وقد ركبت في (محصات) وهي صفة السرعة والشدة التي كنىٰ بها عن القوائم ، فذكر الصفة وحذف الموصوف ، لدلالة السياق ؛لأن الحوافر متصلة بالقوائم وليس بصفتها .

ومن كنايات الشاعر عن الموصوف أيضًا قـــــوله : [1] (المتقارب)

بطرفٍ ينازعني مرسنًا سلوف المقادة محض النسبْ

يصف فرسه بسلامة النسب ، فنسبه خالص لا يعرف الهجنة، ثم ذكر أنه (سلوف المقادة) كناية عن طول عنقه ، فهي موضع القلادة .

وتأتي الكناية عن نسبه في قـــول الشاعر : [2] (الخفيف)

علقتْ هامتىٰ بهن فما يمـــ ـــنع منىٰ الأعنةَ الإقتارُ

فدلالة البيت تَنْصَبّ حول حُبّ الشاعر للخيل وتعلقه بها ، فيوضح أنه إذا نزلت به نازلة وأصابه الضيق ، فإن ذلك لن يحول بينه وبين امتلاك الخيل والقيام بأمرها ، فهو لا غنىٰ له عنها ، وقد عبّر عن الخيل في البيت بلفظ (الأعنة) وهي

(١) ـ ديوان أبي دواد ، ص ٥٨ . المرسن :الأنف، ينظر :الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ١/ ٣٢٢.

(٢) ـ المصدر السابق، ص ١٠٠ .

الحبال التي تكون في اللجام وهي غير مقصودة ، وإنما هي كناية عن الخيل التي تكون الأعنة من لوازمها .

ويشبه الفرس بالصقر الذي جدَّ في اللحاق بفريسته ، فإذا به قد عاد بـ (أكحل المقلتين) كناية عن الثور ، في قـــــــوله : [1] (المتقارب)

فصاد لنا أكحل المقلتين فحلا وأخرىٰ مهاة نوارا

ويتضح لي من أبيات وصف الخيل عند أبي دواد ، أن ما حظي به من كناية جاء أغلبه كناية عن موصوف وهو إما أن يكون (فرسه ، أو جزء منه ، أو صيده) ، ومن ذلك قـــوله :[2] (الكامل المرفل)

ولقد غدوتُ بمُشرحفـــــــ ـــــــف الشدِّ في فيه اللجامُ

فالفارس ينطلق إلىٰ صيده بـ (مشرحف) أي متهيئ للقتال وهو سريع ، وكذلك في (فمه اللجام) وهما وصفان ذكرهما وأراد بهما الفرس .

(١) ـ السابق، ص ١١١ .

(٢) ـ ديوان أبي دواد ، ص١٧٠ .

الصورة اللونية :

وآثرت إفراد هذا الجانب بالحديث بالرغم من أن طريق تشكيل الصورة فيه لا يخرج من كونه واحدًا مما سبق ؛ لأن عنصر اللون في بعض النصوص له وجود قوىٰ ، وحضور ظاهر ،كما أن دلالته مقصودة ولها مرجعية تاريخية في أسماء الخيل وأوصافها ، ومن ثم استقريت الصور التي لعب اللون فيها دورًا بارزًا ، وشكَّل محورًا جوهريًا ؛ لنتعرف علىٰ ما اعتدّ به العربي الجاهلي من ألوان الخيل ، التي تحمل الإشارة إلىٰ نسب الفرس ، أو صفته ، أو غير ذلك من الدلالات المرتبطة بدلالة اللون ، ومن ذلك قول الشاعر : [1] (مجزوء الكامل)

وَمُحَجَّلٍ خُضِبَتْ قَوَائِمُهُ وِتْرًا وَلَيْسَ لِشَفْعِهَا خَصْبُ
إِحْدَىٰ اليَدَينِ بِهَا طَلَاقَتُهَا وَالغَابِرَاتُ نَوَاصِعٌ غُرْبُ

فالصورة قائمة علىٰ توظيف اللون بشكل مكثف ومفصل حيث وصف الفرس بالبياض في القوائم ثم فصّلها بأن جعل البياض في فرسه وترًا، أي: في ثلاث قوائم، ثم أكد هذه الصورة في البيت الثاني حين ذكر أن الفرس مطلق اليد (أي:

(١) ـ المصدر السابق ، ص ٣٨ . المُحَجَّلُ من الْخَيل: أَن تكون قوائمه الْأَرْبَع بِيضًا يبلغ الْبيَاض مِنْهَا ثُلُث الوَظِيف وَنصفه أَو ثُلثَيْهِ بعد أَن يتَجَاوَز الأَرْساغ، وَلَا يَبْلُغ الرُّكْبَتَين والعُرْقُوبين، فَيُقَال: مُحَجَّل القوائم فَإِن بلغ البياضُ من التحجيل رُكبَة الْيَد وعُرْقُوبَ الرِّجْل فَهُوَ فرس مُجَبَّب، فَإِن كَانَ الْبيَاض بِرِجْليه دون الْيَد فَهُوَ مُحَجَّل إِن جَاوز الأرساغ، وَإِن كَانَ البَيَاضُ بِيَدَيْه دون رجلَيْهِ فَهُوَ أَعْصَمُ، فَإِن كَانَ فِي ثلاثِ قوائمَ دون رِجْل أَو دون يَدٍ فَهُوَ مُحَجَّل الثَّلاث مُطْلَق الْيَد أَو الرِّجل، وَلَا يكون التَّحْجِيل وَاقعا بِيَدٍ وَلَا يَدَيْن إِلَّا أَن يكون مَعهَا أَو مَعَهُمَا رجل أَو رجلَانِ. ينظر :التهذيب،٤/ ٨٨ ، لسان العرب،١١/ ١٤٥ .

خلت من البياض) والباقيات من القوائم شديدة البياض ، وتكتمل صورة الفرس بألوانه حين جعل بياض القوائم الثلاث يعلوه لون الخضاب ،وهنا تأتي الصورة بصرية واضحة الألوان أدَّاها الشاعر بألفاظ حقيقية لا مجال للخيال فيها، و هي ذات دلالة واقعية علىٰ حياة العربي القديم في اعتداده ، بل واعتزازه بنوع خاص من الخيل كموروث اجتماعي للبيئة العربية ، وقد ورد عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم بعضًا من الأحاديث التي تؤكد هذا الموروث الوصفي للخيل الأصيل الجيد ، ومن ذلك قوله ﷺ :**"عليكم بكلِّ كميتٍ أغرَّ محجلٍ ،أو أشقرَ أغرَّ محجلٍ ، أو أدهمَ أغرَّ محجلٍ "** (١) **وقوله** ﷺ :**" خيرُ الخيل ،الأقرحُ ،الأرثمُ ،المحجل ثلاث ، مطلق اليمين ،فإن لم يكن أدهم ، فكميتٌ علىٰ هذه الشيةِ"** (٢)

(١)ـ ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ت: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون ،إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ،ط: ١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م (٣١/ ٣٧٧) حديث (١٩٠٣٢) .و سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث ،ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت ،د.ت. (٤/ ١٩٧)حديث (٢٥٤٣) كتاب الجهاد باب فيما يستحب من ألوان الخيل . و المجتبىٰ من السنن، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ، النسائي ،ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ،ط: ٢، ١٤٠٦ – ١٩٨٦،(٦/ ٢١٨)حديث (٣٥٦٥) كتاب الخيل ، باب ما يستحب من شية الخيل ، وأخرجه غيرهم .

(٢) ـ ينظر: مسند الإمام أحمد (٣٧/ ٢٥٣) حديث (٢٢٥٦١) ، و سنن ابن ماجة ، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني،ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسىٰ البابي الحلبي ،د.ت،(٢/ ٩٣٣) حديث (٢٧٨٩).

ومن الصور التي اعتمدت علىٰ عنصر اللون ، قـــول الشاعر: [1] (الهزج)

وَأَحْوَىٰ سَلِسُ المَرْسَـــ ـــنِ مِثْلُ الصَّدَعِ الشّعْبِ

وترتكز الصورة علىٰ عنصر التكثيف الوصفي ، فتتوالىٰ أوصاف الفرس عن طريق مزاوجة الشاعر بين أكثر من أسلوب تصويري ، يهدف إلىٰ إبراز صورة الفرس كما رآها هو:

❖ ــ فيستهل البيت بلفظ (أحوىٰ) الذي يعطي صورةً لونيةً محددة ؛ فهو لفظ جاء بناؤه علىٰ (أفعل) صفة مشبهة تدل علىٰ الثبوت ؛ لنستطيع من بداية القصيدة تحديد لون الفرس الذي تتوالىٰ أوصافه في الأبيات ، فهو أحمر شابه سواد ، ولكن لمّا كان للدّهمة (سواد الفرس) صنوفٌ عند العربي القديم ، جاءت (أحوىٰ) ؛ لتميزه باحمرار منخره وخاصرته .

❖ ــ ثم وصفه بأنه سهل الانقياد مطواع لفارسه ، عبَّر عن ذلك باستخدام المجاز المرسل، حين ذكر (المرسن) وهو موضع اللجام وأراد (الرسن) وهو اللجام ، لعلاقة المكانية وعن طريق التكثيف الوصفي تتلاحم الجزئيات ، لتوضح سعة أنف الفرس ــ وهي ذاتُ دلالة علىٰ عتقه ــ الذي يشبه في اتساعه تباعد ما بين قرني الظبي .

❖ ومن مشاهد الصيد التي استوقفتني ؛ لاكتمال العناصر الجزئية فيها حتىٰ بدت الصورة كأنها مشهدًا تصويريًا، يستطيع القارئ أن يتخيله وكأنه يراه رأي

(١) ـ ديوان أبي دواد، ص ٥٣ . أحوىٰ: الحُوَّةُ: سَوَادٌ إِلىٰ الخُضْرة، وَقِيلَ: حُمْرةٌ تَضْرب إِلىٰ السَّواد، ينظر: لسان العرب ١٤/ ٢٠٦ .والأَحْوىٰ مِن الخَيْلِ: الكُمَيْت الَّذِي يعْلُوه سَوادٌ، والجَمْعُ : الحُوُّ.وقالَ النَّضْرُ: هُوَ الأَحْمَر السَّرَاة. ينظر: تاج العروس،٢٧ / ٤٩٩ .

العين ، وهكذا كان اللون أبرز عناصر الصورة ، وأقواها، بالرغم من اشتمال اللوحة علىٰ التصوير الحقيقي ، والبياني ،إلا أن اللون فيها هو المحور الرئيس ؛ وعليه مدار تحديد نوع الفرس الذي ننتظر منه إتمام المشهد :

❖ ــ فهو فرس أحمر اللون خالص ، إلا أنه أبيض البطن وامتد البياض إلىٰ باطن ذراعيه وفخذيه (**بَلَقٍ وأَعْلىٰ لَوْنِهِ وَرْدٌ مُصَـــامِصْ**) ،وتحديدًا للّون ونقله كما رآه الشاعر ، فقد قدّمه من خلال أمر محسوس وهو كنانة قوم نُسجت من أدم أحمر مذهب (**كَكِنَانَةِ الزُّغَرِيِّ زَيْنَهَا مِنَ الذَّهَبِ الدُّلامِـــصْ**) ، وقد انطلق به فارسه إلىٰ الصيد فلما رأته الظباء ذُعرت ، واهتزت وأحدقت ببصرها مع تحريك أذنابها، وهي حالة لا تفعلها إلا إذا امتلكها الخوف ، ولم لا؟ وقد جاءها فرس خاص بأوصافه ، وقد انطلق خلفها يسير بما يعادل سير نعامتين تتابعان مذعورًا ، وهذا كناية عن سرعة السير وقوته، فقد أحدث غبارًا أخفىٰ الصيد وراءه ، فإذا به يحاول الخلاص مما أُسدل عليه من شباك الغبار ، فالبعض يخرج مسرعًا ، والبعض يعدو علىٰ الأطراف ،وهكذا عكست البنية التصويرية قوة التمازج بين أنماط التصوير ؛ التي أدت إلىٰ تكثيف الصورة ، فنسجت الأبيات مشهدًا تمثيليًا ينبض بالصراع والحركة والصوت فضلا عن ثراء اللون، يقول أبو دواد: [1]

(الكامل المرفل)

وَلَقَدَ ذُعِرَتْ بَنَاتُ عَمٍّ المُرْشِقَاتِ لَهَا بَصَابِصْ
بمُجَوَّفِ بَلَق وأَعْلىٰ لَوْنِهِ وَرْدٌ مُصَـــامِصْ
كَكِنَانَةِ الزُّغَرِيِّ زَيْنَهَا مِنَ الذَّهَبِ الدُّلامِـــصْ
يَمْشِي كَمَشْيِ نْعَامَتَيْنِ تُتَابِعَانِ أَشَقَّ شَـــاخِصْ
يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَل الْغُبَا رِ فُجَامِزُ الوَلَقَىٰ وَقَابِصْ

(١) ـ ديوان أبي دواد ، ص ١٢٠ ،١٢١ .

ويلعب اللون الدور الفاعل في تحديد ملامح الصورة واستحضارها في ذهن السامع ، فيمثل بؤرة تركيز الصورة ، ونقطة انطلاق الحركة فيها ، و الدور المحوري الذي يقدمه بطل المشهد وهو (الفرس) ، يبدو ذلك في قـــول الشاعر[1] (الخفيف)

وَلَهَا قُرْحَةٌ تَلأْلأُ كَالشِّعْـــ ـرِي أَضَاءَتْ وَغُمَّ عَنْهَا النُّجُومُ

فالصورة ترتكز علىٰ (اللون) في لفظ (قُرْحة) ذلك اللون الأبيض الناصع مع صغر حجمه بين عيني الفرس ، ثم أتبع الشاعرُ اللون بتشبيه ــ كعادته ـ لتوضيح درجة اللون وتقريبه للسامع بما تراه عيناه ، فهذا البياض يُضئ ويلمع كما يلمع الشعرىٰ ، وقد غطىٰ نوره ما يجاوره من النجوم ، ولا يخفىٰ دور الطباق بين : (أضاءت ، وغم) في رسم الصورة التي تبرز جسم منير مضيء وسط ظلام حالك ، فالمشبه به يراه العربي القديم ويعرفه ، ومن ثم يستطيع بكل يُسر إدراك مقصود الشاعر .

وهكذا تنوع التصوير عند أبي دواد ما بين حقيقي ، ومجازي يشمل : (التشبيه ، والاستعارة ، والكناية) ؛ لينقل به الشاعر تجربته وإحساسه بفرسه ، وقد أجاد في ذلك إلىٰ حد كبير .

*** *** ***

(١) ـ ديوان أبي دواد ، ص ١٥٦ .الشعرىٰ : كوكب يطلع بعد الجوزاء وطلوعه في شدة الحر ، ويقال له الشعرىٰ اليمانية ، وهي النجمة الأكثر توهجا ، وبريقا في مجموعة الدب الأكبر في النظام الفلكي ، وَعَبْد الشِّعْرَىٰ العَبُور طائفةٌ مِنَ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ؛ فأَنزل اللهُ تَعَالَىٰ قوله:" وأنه هو رب الشعرىٰ" أَي رَبُّ الشِّعْرَىٰ الَّتِي تَعْبُدُونَهَا ينظر: لسان العرب، ٤/ ٤١٦ ، الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ٢/ ٦٩٩

الخاتمة

وبعد أن تتبعتُ صورة الفرس وأنواعها عند أبي دواد الشاعر الجاهلي ، يمكن تقديم خلاصة ما توصل إليه البحث من نتائج ، وهي على النحو الآتي:

١ــ كل ما يتعلق بالشاعر محل الدراسة كان مجالًا لاختلاف الباحثين بما في ذلك اسمه، ونسبه، وكنيته ، وكذلك تاريخ ولادته ووفاته ، وما يتعلق بأولاده، ومن هنا يمكن القول بأن حياة الشاعر جاءت علىٰ سبيل التقريب ؛ لاعتماد الباحثين في تحديدها علىٰ إشارات تاريخية وشعرية .

٢ــ لا خلاف بين الباحثين والدارسين في أن أبا دواد من نُعات الخيل المجيدين ، ولكن الخلاف ورد في كونه فحلًا أم لا، فضلا عن قول الأصمعي من عدم استشهاد اللغويين بشعره ؛ لأن ألفاظه ليست نجدية .

٣ــ تعارفت البيئة العربية في الجاهلية علىٰ منظومة جمالية في وصف الخيل ، تغنىٰ بها الشعراء، فصارت موروثًا اجتماعيًا فنيًا، وكان أبو دواد واحدًا ممن رسّخ هذه المنظومة ؛ نظرًا لتقدمه زمنيًا.

٤ــ ركّز أبو دواد في وصف فرسه علىٰ الشكل الخارجي ، فتوارت العاطفة في تصويره إلىٰ حدٍ كبير.

٥ــ جاءت المقطوعات والقصائد في وصف الخيل عند الشاعر خالية من التمهيد علىٰ غير عادة الجاهليين .

٦ــ لم يجدد أبو دواد في صف الفرس إلا من حيث الأداء ، واختيار اللفظ المعبر عن الصورة مما جعل وصفه يمثل لوحة بديعة .

٧ــ ارتبط أبو دواد ــ كغيره من شعراء الجاهلية ــ بالبيئة ومظاهرها ومن ثم توظيفها في الدلالة علىٰ صفات فرسه.

٨ــ تنوعت الصور عند الشاعر ما بين حقيقية ومجازية ، عبّرت كل منها عن مراد الشاعر في وصف فرسه ونقل تجربته بكل فنية وإبداع.

٩ــ جاءت الصور البلاغية متنوعة ما بين استعارة ، وتشبيه وكناية ، استطاع الشاعر بها رسم الصورة المركبة أو البسيطة كما أرادها هو .

وأخيرًا ، فهذا جهد المقل ، فهو قطرة من بحر ، وفيض من غيض ، قصدت به إماطة اللثام عن جزء من تراثنا العربي ، رأيته في طي النسيان ــ علىٰ حد علمي ــ فما كان من توفيق فمن الله وما كان من خطأ ، أو زلل فمني ومن الشيطان والله منه براء، وهو وراء القصد ، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

*** *** ***

فهرس المصادر والمراجع

أولا ــ المصادر

١ـ ـديوان أبي دواد الإيادي ، جمع وتحقيق : أنوار محمود الصالحي، أحمد هاشم السامري ، دار العصماء ،ط،١، ١٤٣١ ،٢٠١٠م.

ثانيا ــ المراجع

١. أساس البلاغة، للزمخشري ،ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان ،ط: ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .

٢. أسماء خيل العرب وفرسانها،أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي ت: حاتم صالح الضّمان، دار البشائر، دمشق – سورية،ط: ٢، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .

٣. أشعار الشعراء الستة الجاهليين، اختيارات من الشعر الجاهلي ، اختيار أبي الحجاج، يوسف بن سليمان المعروف بالأعلم، دار الكتب العلمية_ بيروت، لبنان،د.ط، ٢٠٠١م.

٤. الأصمعيات ت، أحمد محمد شاكر ، عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ،مصر ،ط ٧، ١٩٩٣م.

٥. الأعلام، خير الدين ، الزركلي الدمشقي ، دار العلم للملايين ط: ١٥، ٢٠٠٢ م

٦. الأغاني ، أبو فرج الأصفهاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥ه .

٧. الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنىٰ والأنساب،سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا ، دار الكتب العلمية -بيروت-لبنان ،ط، ١ ،١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٨. إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي بن عبد القادر، المقريزي ت: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط ١، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩ م.

٩. أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام وأخبارها، ابن الكلبي،ت: حاتم صالح الضامن ، دار البشائر، دمشق – سورية، ط ١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.

١٠. البديع في البديع،أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ، دار الجيل ،ط ١، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م

١١. البديع في نقد الشعر، أبو المظفر بن منقذ، ت: أحمد أحمد بدوي، حامد عبد المجيد، الجمهورية العربية المتحدة – وزارة الثقافة والإرشاد القومي – الإقليم الجنوبي – الإدارة العامة للثقافة، د.ط، د.ت .

١٢. البلاغة والأسلوبية ، مقدمات عامة ، يوسف أبو العدوس ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ط١ ، عمان ، الأردن ، ١٩٩٩م.

١٣. البيان والتبيين ، الجاحظ ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ط ، ١٤٢٣ هـ .

١٤. البيان في الصورة ، مصطفىٰ الصاوي الجويني ، دار المعرفة الجامعية ، عين شمس ، سوتير الإسكندرية ، د.ط ، د.ت .

١٥. البيان في ضوء أساليب القرآن ،عبد الفتاح لاشين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط٢، ١٩٨٨م.

١٦. تاج العروس من جواهر القاموس، للزَّبيدي،ت: مجموعة من المحققين ،دار الهداية ،د.ط، ، د. ت .

١٧. تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي: شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط ٢٠، ١٩٩٧م.

١٨. تصحيفات المحدثين، أبو أحمد الحسن العسكري ،ت: محمود أحمد ميرة ، المطبعة العربية الحديثة ، القاهرة ط ١، ١٤٠٢ م.

١٩. تهذيب اللغة ،للأزهري ،ت:محمد عوض مرعب ،دار إحياء التراث العربي، بيروت ،ط١ ،٢٠٠١م.

٢٠. جمهرة اللغة ، أبو زيد القرشي ،ت: علي محمد البجادي ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، د.ت.

٢١. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي، ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ،ط٤، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م .

٢٢. خزانه الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، ت: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت،الطبعة الأخيرة، ٢٠٠٤ م.

٢٣. الخيل في أشعار العرب ،حسن محمد النصيح ، مكتبة الملك عبد العزبز العامة طـ١ ، الرياض ١٤١٦هـ .

٢٤. دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، ت: محمود محمد شاكر ، مكتبة الخفاجي ، ط٥، القاهرة ، ،٢٠٠٤م.

٢٥. ديوان الفرزدق،همام بن غالب بن صعصعة التميمي ،دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان ،ط١، ١٤٠٧ه،١٩٨٧م .

٢٦. ديوان امرئ القيس، امرؤ القيس بن حجر الكندي ،اعتنىٰ به: عبد الرحمن المصطاوي ،دار المعرفة ، بيروت، ط٢، ١٤٢٥ه، ٢٠٠٤م.

٢٧. ربيع الأبرار ونصوص الأخيار: جار الله الزمخشري ، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤١٢ هـ .

٢٨. سبل الهدىٰ والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي ،تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ،ط ١، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م.

٢٩. سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري ،ت عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، د.ط ، ،د.ت .

٣٠. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث ،ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، د.ط ،د.ت.

٣١. سنن ابن ماجه،أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني،ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسىٰ البابي الحلبي، د.ط ،د.ت .

٣٢. الشعر العربي المعاصر ، قضاياه وظواهره الفنية ، عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، ط١، القاهرة،د.ت.

٣٣. الشعر والشعراء ،أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ،: دار الحديث، القاهرة،د.ط، ١٤٢٣ هـ .

٣٤. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ،ت: أحمد عبد الغفور عطا ، دار العلم للملايين ، بيروت،ط٤، ١٤٠٧ ، ١٩٨٧م.

٣٥. الصورة الاستعارية في الشعر العربي الحديث،وجدان الصائغ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،ط١، الأردن ، عمان ٢٠٠٣م.

٣٦. الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ، بشرىٰ موسىٰ صالح ، المركز الثقافي العربي للنشر ، ط١ ،١٩٩٤م.

٣٧. الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، جابر عصفور ،دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

٣٨. الصورة الفنية في شعر دعبل الخزاعي ،إبراهيم أبو زيد ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٢، ١٩٨٣م.

٣٩. الصورة الفنية في المفضليات . زيد محمد الجهنىٰ ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ط ١، جزء ١/ المدينة المنورة ، ١٤٢٥ هـ.

٤٠. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني ،ت: محمد محيي الدين عبد الحميد: دار الجيل ،ط ٥، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

٤١. عيار الشعر،ابن طباطبا العلوي، ت: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي – القاهرة ، د.ط ،د.ت.

٤٢. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ت: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي،دار ومكتبة الهلال ، د.ط ،د.ت

٤٣. فحولة الشعراء، الأصمعي ،ت: المستشرق: ش. تورّي ،قدم لها: الدكتور صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت – لبنان ،ط ٢، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٤٤. القاموس المحيط ، الفيروزبادي ،ت:مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط٨ ، ١٤٢٦/ ٢٠٠٥م.

٤٥. لسان العرب لابن منظور ، دار صادر ، بيروت،ط٣، ١٤١٤ه .

٤٦. المجتبىٰ من السنن، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ، النسائي ،ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ،ط ٢، ١٤٠٦ – ١٩٨٦م.

٤٧. مجمع الأمثال ،أبو الفضل النيسابوري ، ت . محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت ،لبنان ،د.ت .

٤٨. مجمل اللغة لابن فارس ،ت: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ط،٢ – ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م .

٤٩. المحكم والمحيط الأعظم ،ابن سيده المرسي المحقق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط ١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.

٥٠. مختار الصحاح للرازي ،المكتبة العصرية ، الدار النموذجية ، بيروت ، صيدا ،ط٥، ١٤٢٠/ ١٩٩٩م.

٥١. المخصص لابن سيده ،ت خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،ط ١، ١٤١٧هـ١٩٩٦م.

٥٢. المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، ت: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية – بيروت ،ط١، ١٤١٨هـ١٩٩٨م .

٥٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ت: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون ،إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة،ط ١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م .

٥٤. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ، المكتبة العلمية – بيروت، د.ط ،د.ت.

٥٥. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، إبراهيم مصطفىٰ ،أحمد الزيات ،حامد عبد القادر، محمد النجار دار الدعوة، د.ط ، د.ت .

٥٦. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر بن رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت ،ط، ٧، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م .

٥٧. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبه ، وكمال المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، د .ط ، ١٩٧٩م.

٥٨. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،جواد علي ، دار الساقي ،ط ٤ ،١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٥٩. المفضليات، المفضل بن محمد بن يعلىٰ بن سالم الضبي ،ت: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون، دار المعارف – القاهرة ، ط ٦ ،د.ت.

٦٠. مقاييس اللغة، أحمد بن فارس ،ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٦١. نهاية الأرب في فنون الأدب، أحمد بن عبد الوهاب شهاب الدين النويري ، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ،ط ١، ١٤٢٣ هـ .

*** *** ***